

ANCORA IMPARO



العُصْوُ

السنة الثالثة

أكتوبر ١٩٢٩ اعرف نفسك بنفسك: فتاغورسي مجلد ٥ العدد ٢٦

هاجبتنا الى الاصراع الاجتماعي

تدعونا الى تأسيس حزب الفلاح المصري

بعد ان قطعت ما قطعت من طول التأمل والاستبصار، وبعد ان عركت كثيراً من التجارب العملية، ايقنت بان علينا واجباً نؤديه جميعاً بصفتنا مصريين اولاً وبصفتنا هيئة اجتماعية ثانياً، وان هذا الواجب يحفزنا الى تأسيس حزب جديد، وان التهاون في تأسيسه وتنظيم قواته المشتتة الآن، سوف يكون سيئاً في ان نواجه عواصف اجتماعية وقلاقل، اعتقد ان تأسيس هذا الحزب على القواعد التي بثتها في مشروعه كافية لحمايتنا من تلك الشرور الكبرى .

لهذا التي بمشروعى بين يدى الرأى العام، عسى ان يخدم من المفكرين مجالاً للنقد . وأن لا يتورط احد الى النظر فيه نظرة بعيدة عن مراميه الاجتماعية الصرفة .

وانى ان تقدمت به الى صاحب الدولة مصطفى النحاس باشا، فاني انما اتقدم به اليه موقناً بأنى القى به فى اكناف زعيم كفيل بانه يقدر الظروف و يقيس الحقائق بمقياس المنفعة العامة وحدها . فان نجحت فذلك اقصى ما اتمنى، وان لم انجح اليوم فاني على يقين كامل فى انى سوف انجح غداً .

اسماعيل مظهر

مشروع لتأسيس

حزب الفلاح المصرى

The Egyptian Agrarain Party

مقدم لصاحب الدولة مصطفى النحاس باشا رئيس الوفد المصري
يا صاحب الدولة

بالصفة العليا التى لكم فى هذه البلاد كرئيس للوفد المصرى، وخليفة للزعيم
الأكبر المخفور له سعد زغلول باشا، والمدافع الطبيعى عن الديمقراطية الحقيقية،
وبحكم أنك الزعيم الأول للأغلبية الساحقة من المصريين، أتقدم إليكم بهذا المشروع
الذى أعتقد أنه أعظم مشروع حيوى تركز عليه حياة مصر الاجتماعية حالا ومستقبلا،
معتقدا اعتقادا كليا جازما بأنه سوف يفوز بتعصيدكم العمل والادبى . ولست فى مقام
أنورط فيه إلى شرح المزايا التى يتضمنها أو المقتضيات السياسية والاجتماعية التى تجعل
قيام مثل هذا الحزب ضرورة طبيعية، إن لم نشعر بضرورة الخضوع لها اليوم، فسوف
تتحمل مسؤولية إهمال التفكير فيها فى المستقبل القريب، على الرغم من شعور الناس
شعورا خفيا عميقا بالحاجة إليها الآن . وغير خاف أن « حزب الفلاح المصرى » بحكم
طبيعة البلاد وتكوين مزاجها الاجتماعى، هو أودوم الاحزاب بقاء، وأكثرها قوة،
وأعزها جانبا . ذلك لأنه يقوم على ضرورات الطبيعة والاجتماع . وفضلا عن هذا
فإن « حزب الفلاح المصرى » شئ محسوس بوجوده فى الجوامع المصرى، وإن لم يكن له
نظام موضوع . فهذا المشروع فى الواقع تنفيذ لحاجة يشعر بها الناس، وتنظيم لقوة
سياسية اجتماعية هى لدى الواقع أكبر قوة فى البلاد . فاذا تفضلتم يا صاحب الدولة
بالمواقفة على المشروع إجمالا، أى على الفكرة التى يقوم عليها، مع ترك المناقشة فى
التفاصيل للجنة التأسيسية التى سوف تنظر فى نظام الحزب ومبادئه على القواعد الموضوعه
فى هذا المشروع، بدأنا بالتنفيذ تحت رعايتكم، لنضع فى الواقع حجرا أساسيا فى بناء
المجد الخالد الذى سوف تشيده مصر بفضل زعمائها المضحين لها بكل ما يعز على الناس
من جهد و حطام . وتفضل يا صاحب الدولة بقبول التحيات مشفوعة بصيغ الاحترام من
خادمكم المطمع

مذكرة تهريرية

في مشروع « حزب الفلاح المصرى » (The Egyptian Agrarian Party)
ليان المبررات الاجتماعية والاقتصادية التى تدعو إلى الاسراع فى تأسيس الحزب
والعمل على تنفيذ مبادئه المشروحة فى صلب هذا المشروع فى أقرب فرصة ممكنة .

أثبت العلامة « توماس روبرت ملتوس » الانجليزى أن الأنواع الحية ومنها
الانسان ، تتزايد بالتوالد على نسبة رياضية ، وأن نسبة زيادتها على تلك الصورة
الرياضية تقصر معه أية بقعة من بقاع الأرض عن أن تعضد نسل الأحياء إذا استمرت
زيادتها الرياضية دون حائل يقف تيار هذه الزيادة . ولا جرم أن هذه القاعدة تنطبق
على الحيوانات فى حالتها الطبيعية وتنطبق على الانسان فى حالاته البدائية الوحشية ، أكثر
مما تنطبق على الحيوانات فى حالة إيلافها ، أو على الانسان إذا لابسته حالات مدنية
معينة : فالحيوانات فى حالتها الطبيعية تتوالد من غير أن تفكر فى تحديد النسل . فإذا
زادت نسبة عددها الرياضية نسبة كبيرة سلطت عليها عوامل طبيعية ليس فى وسعها
أن تدفعها بحال من الأحوال ، على الضد من الحيوانات فى حالة الإيلاف ، فإن زيادتها
راجعة إلى ارادة الانسان . وكذلك تحديد أنسلها ومستولداتها ، بيد أنها بحمة من
طوارىء الطبيعة بعناية الارادة البشرية . فإذا رجعنا إلى الانسان فى حالته البدائية ،
وجدنا أنه لا يخرج عن حكم الطبيعة العامة . فانه إذا تناسل وكثر نسله وزادت نسبته
الرياضية فى عدد الأفراد ، سلطت عليه من الطبيعة مهلكات تقف زيادة أفرادها عند
حد محدود . وهذا على الضد من الانسان لابسته المدنية . فانه يستطيع أن يدفع عوامل
الطبيعة بوسائل صناعية ، وفى مستطاعه أن يتسود على الطبيعة وعلى قواصرها ، فيصبح
سيداً بعد أن كان مسوداً . بل إنه يستطيع أن ينقذ من الموت والفناء أفراداً من نوعه
كتبث عليهم الطبيعة آية الموت ، أن تركوا بلا عناية من علاج أو وسائل من الوقاية .
أضف إلى ذلك أن الطبيعة لا ترحم ولا تشفق . فى حين أن من أخص صفات الانسان
الشفقة والرحمة . والطبيعة تدفع الأحياء إلى الاحتفاظ بالنوع ، كما تدفع الفرد إلى الاحتفاظ

بالذات . ولكنها في الوقت ذاته لاتعمل على حماية النوع أو وقاية الفرد إلا بقدر ما
تتطلبه للنوع أو للفرد من فرص البقاء . فهي تسرف في الانتاج من ناحية ، ثم تسرف
في الضياع والبذل من ناحية أخرى . وهي بقدر ما تسرف في التنوع تضمن بالابتكار .
لهذا تجد أن الصور المبتكرة ، وهي غالبا الصور التي تتغلب في التناحر على الحياة ، قليلة
جهد القلة ، وأن الطبيعة تضمنها . فهي في هذه الناحية شحيحة بخيلة ، في حين أنها إذا
أتتحت رمت عالم الحياة بالملايين . وإذا أفنت سلبته الملايين ، وهي في التنوع لا يبلغ
إسرافها حدولا يقف عند غاية . فليس يوجد في العالم شجرتان أو حيوانان أو إنسانان ،
كلا بل زهرتان أو ورقتان ، هما صنوان ، لاتغير فيهما ولا تباين بينهما
إذا وعينا هذه المبادئ خرجنا منها بنتيجة لا يجب علينا أن نتغافل عنها . فشعوب
الأرض قاطبة تباهى اليوم بكثرتها والطبيعة لجود عليها بالافراد مسرفة إسرافها
المعروف . والحضارة من وراء ذلك تؤيد إسراف الطبيعة في الانتاج . فلا مجاعات
اليوم ولا أوبئة ولا وفيات بين الناس بالنسب المروعة التي حفظتها الاحصائيات خلال
قرن ماض من الزمان ، على ما كان خلال ذلك القرن من رقي مقيسا بما سبقه من القرون .
ناهيك بأن كثيرا من الامراض الوبائية المفقنة كالزهرى والملاريا والانيما والكوليرا
مثلا ، قد أصبحت من أسهل الامراض علاجا أو وقاية . فاذا أضفت الى ذلك طرق
الوقاية من كثير من الامراض الخبيثة ، عرفت إلى أي حد أيد الانسان باستكشافاته
إسراف الطبيعة في الانتاج . فاذا تذكرت ان الانسان ان كان قد ساعد اسراف
الطبيعة في الانتاج ، فانه قد ازادها شحا في الابتكار وضناً به ، خرجت من ذلك بنتيجة
كبيرة . ذلك لان ابتكار الطبيعة انما يكون من مجموع الافراد الذين يقدر لهم البقاء ،
بعد أن تغربل قوا اسر الطبيعة وأعاصيرها الناتج من الافراد فتذهب بالأكثرية إلى
الفناء وتبقى على ما يصلح للبقاء . في حين أن استكشافات الانسان ووسائله قد عمدت
إلى الحد من قوة الطبيعة الابتكارية بان هيأت فرص البقاء لعدد أكثر مما تريد الطبيعة
أن يبقى فيها . وبهذا نجد أن الطبيعة ، بمساعدة الانسان ، قد زاد اسرافها في الانتاج
وقل ابتكارها للافراد أو للسلاسل الممتازة . وهذه حالة كما أوجدها الانسان ، يجب
على الانسان أن يبحث عن علاج لها ، يروح به عن مدنيته ويخفف وطأة القوضى
والاضطراب . ويحد به من بواعث القلق الشديد البادية في جبين هذا العصر .

والدليل الثابت على هذا زيادة عدد النوع الانساني خلال أربعة القرون الفارطة زيادة اذا قسنا نسبتها بنسبة زيادته خلال القرون الوسطى ، أو القرون المظلمة كما يسمونها ، لما وسعنا إلا أن نرتاع وأن نشك في صلاحية الوسائل المدنية ، على رقيها وعظمتها ، لان تكون سنادة ترتكز عليها الحياة الانسانية ، مشبعة كل مطامعها من السعادة والطمأنينة . والمثل البسيط على هذا أن قارة كالقارة الامريكية استعمرت في أقل من خمسة قرون وازدحمت بالنوع البشرى على قلة وسائل الوقاية والحروب الدائمة والثورات المجتاحة والمجاعات المدمرة . وكذلك لديك اوسترااليا مثل حى على هذا . وكلما ازداد تسود الانسان على الطبيعة ازداد اسرافها في الانتاج وقل ابتكارها . وفي هذا ينحصر السبب في مايدو على جبين هذا العصر من بواعث القلق والشعور باقتراب الفورات الفجائية والاحساس العميق بان نظام المدينة الحديثة لا بد منها رانه لا بد من أن يتبدل الانسان بهذا النظام نظاماً آخر أقرب إلى حاجته . فالطبيعة مطلقة من قيود الاستكشافات الانسانية وعوامل الوقاية ، تذهب بكل ما لا يصلح للبقاء من الافراد ، ولا تبقى الا على الاصلح والاكثر اتاجا والاشد مقاومة والاصفى عنصراً والامتن تكويناً والاعمق تفكيراً والاحيل والاذكى والاعقل . فلما تدخلت العوامل الانسانية وزاد بها اسراف الطبيعة في الانتاج قلت مادة الانتخاب امام الطبيعة ، بل قيدسيرا بقيود حديدية من ارادة الانسان واستكشافاته ومعارف من طرق الوقاية ، فقل ابتكارها . وخرج من مجموع ذلك نوع بشرى مصطنع تزيد فيه نسبة الطالحين طبيعياً واجتماعياً بنسبة ماهية الطبيعة من فرص الاسراف في الانتاج والشح في الابتكار . وبقدر ما يكون من أثر هذه الحالات في مجتمع تكون نسبة التدهور والانحطاط التى لا يدل عليها من شىء بقدر ما تدل ظواهر القلق والاضطراب البادية في حر كاته وتطوراته واتجاهات أفكاره الراجعة لدى الواقع إلى مشاعر واحساسات اخفى من أن تظهر لنا أو نكتسها بحال من الاحوال . وبقدر ما يزيد من اسراف الطبيعة في الانتاج ، تكون نسبة التأثير على العناصر العليا في المجتمع . فان اسراف الطبيعة مقرونا بعوامل الوقاية والحماية للافراد غير الصالحين طبيعياً واجتماعياً ، يحدث صورة من التطفل الاجتماعى ، هي أنكى ماصادف الجماعات الانسانية من الكوارث خلال كل الازمان .

ولا ينبغي لنا أن ننسى أن الأجسام العضوية أشبه شيء ببناء الاجتماع، وحالاتها الحيوية أصبح ما يتخذ دعامة للبحث الاجتماعي . فالميكروبات مثلا ، لا بد من أن تحدث حولها وسطا وبيئة يلائمان حياتها ومطالب وجودها . فانك اذا لقحت كتلة من الجيلاتين بنوع من الميكروبات ، فلا تلبث الا قليلا حتي تلاحظ أن جزء من هذه الكتلة قد تغير تغيرا كيمائيا خاصا سببه فعل الميكروب نفسه ، اذ يتخلق من حوله بيئة تكافئ بين حاجات حياته وضرورات وجوده . فاذا طبقت هذه الحالة على الاجتماع الفيت أن جماعات المدينة الحديثة ، كجماعات المتوحشين والهمج ، لم تخرج عن حكم هذه القاعدة . فان انقلاب الحالة الاجتماعية في اوروبا في أواخر القرن الثامن عشر ، وابتداء عصر الصناعة الانتاجية ، قد خلق بيئة جديدة مخالفة تمام المخالفة للبيئة التي حفت بالجماعات في القرون الوسطى . وهكذا تتخلق الجماعات البيئية ، حتى اذا استقرت البيئة على نظام ثابت ، أخذت البيئة ذاتها تؤثر في الجماعات تأثيراً نجده في كل الحالات رهنا على طبيعة البيئة ذاتها . فالميكروبات ان أحدثت في المادة الجيلاتينية التي ذكرناها ، بداءة ذي بدء ، جوا وبيئة تلائمها ، فان تكاثر الميكروبات الى حد كبير ينتج في البيئة الطبيعية أثراً يقضى على حياتها . على حياة الجماعة كلا وافرادا . وهذا لدى الواقع هو السر في قيام المدنيات ثم اضمحلالها وسقوطها . فاذا قست حالات الاجتماع على حالات الحياة العضوية ، أمكنك أن تعرف الى أي حد تذهب مساوىء الاسراف في انتاج الافراد ، من غير أية موازنة بين حاجات الجماعة ، وضمن الطبيعة بالابتكار .

ليست طبقات الجمعية المشتركة كلها على نسبة واحدة من القوة . فان الطبقات تختلف اختلافا كبيرا من حيث القدرة والكفاية . وبالملازمة فيه أن غير ذوى الكفايات أو كما يقول الاجتماعيون - الطالحون اجتماعيا - وهم النسبة الكبرى ممن تسرف الطبيعة في انتاجهم ويسرف الانسان في حمايتهم من الطبيعة - يتحدثون من حولهم بيئة خاصة لا يستطيعون أن يعيشوا في غيرها لانها تلائم طبائعهم وتوافق مشاربهم ، بل لانكون مغالين اذا قلنا إن البيئة التي يخلقها غير ذوى الكفايات من حولهم ، عامل ذو شأن في تبديد قوى العناصر العاملة المنتجة في المجتمع . ومتى استقرت البيئة على شكل ثابت ، أخذت من ثم في التأثير في كل من استشم ريحها واندمج في طبيعتها فتصبح

نظاماً ثابتاً، لالانه مفيد مسير لمثل النوع العليا، ولالانه مساعد للطبيعة على الابتكار، ولالانه نظام طبيعي ثابت، ولالانه خطوة من خطى النشوء الطبيعي، لالشيء من هذا، بل لانه مرتكز على عنصر غالب في المجتمع، هو العنصر الذي يخلقه اسراف الطبيعة في الانتاج واسراف الانسان في وقايتة من قوة الطبيعة الانتخائية التي تهىء لها في النهاية سبيل الابتكار

وليس لنا مع هذا أن ننسى ان في المجتمع الحديث نزعة الى التطفل هي نتاج لجماع هذه الحالات. انظر في العالم العضوى وتأمل قليلا من مختلف صور التطفل الكامنة فيه والظاهرة، تجد أن الدويبات العالقة بالاجسام الحية والنباتات النامية على جذوع الأشجار الكبيرة، وقد التفت فروعها على أغصان تلك الشجرة بما يكاد يفنيها ويميتها، اذا تأملت من هذه الحالات وأمثالها، أيقنت بان البيئة التي يخلقها الاسراف في الانتاج مع تحديد نسبة الفناء بما يخالف مطالب الطبيعة، تفوى في المجتمع نزعة التطفل

أنظر من حولك في نواحي المجتمع الخاف بك واستغرق ساعة في التفكير من حال أولئك الذين يسخرون للذاتهم واهوائهم أقوى عناصر الاجتماع ليددوا جهود تلك العناصر تبديداً لا يعود لإنتاجية واحدة هي تقوية بيئة التطفل في جسم المجتمع، فانك تصل إلى النتيجة المحتومة. فان غير ذوى الكفايات من تسرف الطبيعة في انتاجهم ويسرف الانسان في حمايتهم - على الرغم من أنهم يعيشون متطفلين على عاتق أقوى العناصر المنتجة في الاجتماع -، ممن تضن الطبيعة بهم كل ضن - فانهم يخلقون من حولهم تلك البيئة الفاسدة التي لا يقتصر تأثيرها على أنفسهم، بل يتعدى إلى قتل المواهب العامة. لأن كل فرد يجد في الحياة طريقاً يكفل له العيش متطفلاً مع غيره من الناس، ينزع إلى البطالة والكسل، ويقع العبء إذ ذاك على كاهل تلك العناصر التي يعيش من نتاج جهودها بجموع الذين تسرف الطبيعة في قذف الحياة بهم، ومن هم حولهم ممن يعيشون عيش التطفل على عواتق غيرهم ومن كد غيرهم : وليس لهذه الحال إلا نتيجة واحدة : مؤداها أن أضعف عناصر المجتمع تعيش متطفلة على أقوى العناصر. وكلما زادت العناصر المتطفلة، قلت العناصر المنتجة. وهناك تؤثر البيئة أثرها المحتوم في القضاء على صور المدينة وعلى قوى المجتمع

كل هذا وأمثاله قبض على خناق الطبيعة : وصد لنا واميس الكون عن الانبعاث

في وجهتها الصحيحة . ولا ينتج الا أمرا واحدا . ينتج الفورات الفجائية وثورات الهدم والتحطيم . والحقيقة أن الواجب يقضى بان تضحي العناصر الضعيفة المتطفلة في المجتمع في سبيل تقوية العناصر المنتجة الضاربة في سبيل الارتقاء مدنيا وطبيعيا . اسرفت الطبيعة في الانتاج خلال كل العصور . ولكنها كذلك اسرفت في الهلاك والافناء لتستخلص من الباقي - باقى الطرح بين الناتج والفانى - مادة للانتخاب تساعد على الابتكار ، ابتكار الكفايات النادرة الحدوث في الطبيعة . فلما تدخل الانسان باستكشافاته وحى الذين كان من الواجب أن تفنيم الطبيعة ، تبدلت الحال كل مبدل .

كان المجتمع القديم ولا شبهة أقرب لمطالب الطبيعة من المجتمع الحديث . كان مجتمع هو بمثابة معمل طبيعي تنتخب فيه الطبيعة ما تريد وتتخذ منه ما تريد مادة لابتكاراتها التي تضمن بها ضنا كما قدمنا . اما في المجتمع الحديث فقد تعطل انتخاب الطبيعة وزادت الطبيعة ضنا بالابتكار . من هنا واجهتنا المشكلات الاجتماعية الكبرى التي تهدد المدنية الحديثة . ولا جرم ان المجتمع المصرى قد أصابه من هذه العوامل نصيب سيزداد على كراى الاعوام . فاذا تبصرنا في الحالات القائمة من حولنا استطعنا ان نقذف بوسائل عملية مجتمعنا المصرى من كثير مما سوف يواجه جماعات الغرب وامريكا من عوامل القلق والفوضى والاضطراب .

يقول الكاتب العظيم «هنرى جيمس» إن تعليم شعوب يفرض عليهم عيش الفقر المدقع مع الطمع في استقرار الحالة الاجتماعية ، هو مطلب بمثابة بناء هرم . يرتكز في الارض على قمته لاعلى قاعدته . وهذا قول حق من جميع الوجوه

فالمصريون احدى سلالات النوع البشرى ، تلزمهم الطبيعة الاسراف في الانتاج ، وتلزمهم ، بضرورة ما تغرس فيهم من حب حفظ النوع والفرد ، أن يلجأوا إلى طرق الوقاية لكي يفوزوا ببقاء اكبر عدد من الافراد الناتجة . فاذا اضفنا الى ذلك مسايرتنا لمطالب المدنية ونشر التعليم بدرجاته ، ثم طلبنا أن تظل الحالة الاجتماعية مستقرة هذا الاستقرار العجيب الذى لا يهزه الا قليل من عوامل القلق السياسى ، وكتبنا على هذا الشعب أو على الاغلبية العظمى منه عيش الفقر المدقع والحاجة الماسة واستبداد الممولين بالفلاح ، ذراع مصر الايمن ، كنا كمن يحاول بناء هرم يرتكز على قمته لاعلى قاعدته .

لاجرم أن هذه المشكلة هي أكبر المشكلات التي سوف تواجهنا في المستقبل القريب. فان امر العناية بالتعليم قد تضاعف وازداد أثره، والعناية بالشؤون الصحية قد صرف فيه من الجهد ما لا يقل عن أمر عنايتنا بالتعليم. وعلى الجملة أصبحنا أكثر اهتماما بكل شؤون الحياة مما كنا خلال عهد قريب. ولدينا أمة اليابان مثل حي على أن الأمم لا تحتاج الى زمان طويل لتبلغ اسمى مدارج الرقي والعظمة، وانما تحتاج إلى جهد وتحتاج إلى عزيمة. ونحن لا نقصنا شيء من هذا، فالثروة فائضه، والعزيمة بالغة والجهد مبذول. اذن فنحن على ابواب الازمة الاجتماعية. ان لم تكن قد اخذنا ندلف بقدمنا في لججها العاتية الشديدة.

اذا اصفنا إلى الاعتبار السابقة أن نظامنا الاجتماعي من شأنه أن يزيد الغنى غنى والفقير فقراً، وان المضى على الخضوع لهذا النظام من شأنه أن يجعل الطبيعة عنصراً قوياً في تكوين الاسباب التي تفضي الى الازمات الاجتماعية الكبرى، شعرنا إلى أى حد بلغت بنا الحاجة الى تكوين حزب اجتماعي يكون أساس الإصلاح فيه فلاح مصر باعتباريه: أنه الاكثرية العظمى: وأنه اصل الثروة. كما انه لا يجب أن يغيب عن اذهاننا أن اهمال تكوينه سوف يكون عموماً قريب أساس القلق الاجتماعي، لاعن قصد، ولكن عن ضرورات سوف تتكون في أفق حياتنا الاجتماعية

قليل بحق ان تعليم الفلسفة لا يخرج فلاسفة. غير أن هذا لا يجب ان يكون حائلاً دون تلقين الفلسفة. بل ان هذه الحقيقة لجعل التحوط في تلقين الفلسفة عامل في اخراج فئة من الناس تحيط بشؤون الفكر الانساني وتطوراته على قدر المستطاع. كذلك نقول بان تعليم الفلاح لا يخرج مصلحين دائماً. غير أن هذا لا يجب ان يصرفنا عن تعليمه. بل يجب أن يجعلنا تحوط في تعليمه على المثل العليا ومسايرة لاغراض الطبيعة وآثارها في المجتمعات الحية، وعلى الاخص المجتمعات العاقلة الشاعرة، وهي المجتمعات الانسانية

وقيل أيضاً إن الانقلابات الاجتماعية نتيجة تحالطين خاصتين نفسيتين هما خاصتا الاعتقاد والانفعال. فاذا أردنا أن نطبق هذه الحقيقة على المجتمع المصري، بان لنا مقدار الخطر الذي سوف يحقق بمجتمعنا اذا لم نبادر بان نتخذ من النظمات ما يحل محل الطبيعة المطلقة في الجماعات البدائية

لا جرم أن اعتقاد المصريين بحقهم في الحياة أخذ يزداد . وكذلك احساسهم بالاستقلال في الرأي واحترام الذات ، وإن لهم في الحياة ما لبقية الناس . فإذا ثبت هذا الاعتقاد ، وهو لا شك من ايجد ما يجب أن نسعى لغرسه في نفوس المصريين ، ثم استمر الحال على ما نرى من تحكم الطبقات وعدم الاعتراف بحق الفلاح في الحياة على نسبة ارقى واوسع بحيث ترضى هذه النسبة مشاعره ومعتقداته ، تكون بجانب هذه المشاعر والمعتقدات انفعال يزداد اثره وهنا على وهن وحالا بعد حال ، حتى إذا بلغ أشده كان الانفجار وكانت الفورات الفجائية . ولا تسائل العقل بعد هذا في شيء ؛ بل سائل المشاعر الهوجاء وسائل النزعات المتوثبة وسائل النزوات المشبوبة ، ان كنت تحظى بجواب



هذه اتجاهات أ كاد ألمس نتائجها لمسا . ولقد زكت النزعة الى هذه الاتجاهات القلائل السياسية وزاد الشعور بالذاتية نظام الحكم الدستوري الذي يجب أن ندافع عنه بكل غال من حطام ونفس ، باعتباره المعهد الأساسي للتربية القومية . لهذا وجب علينا أن نبحت في أمثل الطرق والوسائل التي تحمينا الانقلابات الفجائية والتي تصد عنا سيل الأفكار المتطرفة الحديثة التي تفيض علينا بها دوليات أوروبا الشيوعية ، التي نعتقد أنها لم تنبع إلا في مجتمعات لم تحمها الوسائل العملية من أحكام الطبيعة الصارمة ، ولم يفكر مصلحوها في وضع نماذجها الاجتماعية على قواعد تسير أحكام الطبيعة على نسبة كافية

وإني لشديد الاقتناع بأن تنفيذ مشروع حزب الفلاح المصري على القواعد التي وضعتها في مبادئه كفيلة بأن تحمينا هذه الشرور وإنها كافية لأن تحل نظامنا محل ما تريد الطبيعة أن يكون من بقاء الاصلح والامثل ، لافي الطبيعة ، بل في المجتمع لا يجب بعد الآن أن يكون هناك تفضيل للأسرة ولللباء ولا للجهل ولا للبل ، بل للكفاءة . بذلك تحل سلطة الانسان محل الطبيعة وتتسود الكفايات العليا فتتوه بضغط شديد على الدنيا الاجتماعية وعلى الطالحين اجتماعيا وعلى المتطفلين ، فيحفظ التوازن ويبقى جسم المجتمع سليما من أمراض الفوضى والاضطراب . ذلك لأنني اعتقد أنه تحريك الجماهير

وتوثبهم إلى الفورات الفجائية ، لن يكون إلا تحت تأثير كفايات عليا ، صدها النظام الاجتماعي عن الانبعاث في طريقها المرسوم ، والذي هو حقها الطبيعي غير منازعة فيه . ذلك لأن الكفايات ككل شئ في الوجود اذا زاد الضغط عليها انقلبت الى ضد ما هو مقصود منها .

هذا إذا أردنا أن نكون أمة سليمة من الأمراض الاجتماعية ، بل ومن عدوى الأمراض الشيوعية على الأخص . ولا جرم أن هذا الأساس هو اصلح الاسس التي تمهد لنا سبيل تشييد حضارة تسد مطامعنا وتكفي حاجتنا ، باعتبارنا أمة فتية من أمم الأرض ، وباعتبارنا قسما صالحاً من النوع البشرى ؟

مذكرة بيانية

مقدمة لصاحب الدولة النحاس باشا رئيس الوفد المصري

ملحقة بمشروع تأسيس « حزب الفلاح المصري »

The Egyptian Agrarain Party

يا صاحب الدولة ؛ ويا زعيم البلاد .

الأحزاب السياسية وشبكة البقاء قصيرة الاعمار ، اذا قيس بقاؤها باعمار الامم . ومثلها في هذه الناحية كمثل عمر الفرد بالقياس الى الحزب . فالفرد أقصر من الحزب عمراً ، والحزب أقصر من الأمة عمراً . وأقصر الأحزاب أعماراً هي الأحزاب السياسية ، واطول الأحزاب أعماراً هي الأحزاب الاجتماعية .

وليس من شك بجانب هذا أن من الأحزاب ما يحتفظ باسمه دهوراً وأحقاباً . ولكن الحقيقة أن الحزب يكون قد انحل وأعيد تكوينه خلال هذه المدة مرات عديدة ، لا بساً أثواباً مختلفة متغيرة تلائم ما يلبسه من ظروف الحالات ومقتضيات الحياة على تشعب مناحيها واختلاف صورها . فلا يبقى إذن من الحزب إلا الاسم دون الجسم والكيان . والمثل الأكبر على هذا ثلاثة الأحزاب البريطانية . فامن شك مطلقاً في أن حزب المحافظين وحزب الأحرار قد احتفظ كلاهما باسمه . ولكن من ذا الذي

يقول بأن حزب المحافظين اليوم هو بنفسه حزب المحافظين في عصر جيمس الاول او عصر وليم بت ؟ بل من ذا الذى يقول بان حزب الاحرار اليوم هو بنفسه حزب الاحرار في عصر قريب ، كمصر غلادستون أو اسكويث ؟ والسبب في هذا أن ضغط الحوادث السياسية على شدته متنوع الصور خاضع لمقتضيات الارادة الانسانية . على الضد من ضغط الحوادث الاجتماعية فانها تابعة لنمط من النشوء الطبيعي يجعل ضغط حوادثها ، مهما كان شديدا ، فيه من صفة البقاء والاستقرار قدر كبير ، لانها على الاقل بعيدة عن التأثير بارادة الافراد والاحزاب : وفرق بين شئ يتأثر بالاهواء الانسانية وآخر لا يخضع للقوات الطبيعة ونواميسها . وهذا مثل حزب العمال الانجليزى ، فهو عندى أكثر الاحزاب بقاء وأكرمها طبيعة وأقواها نظاما وارضاهها لطبيعية المقتضيات ، وأكثرها تمشيعا مع الطبيعة البشرية . أما السبب في هذا فينحصر في أمر بسيط جمد البساطة . هو أن للحزب جانبين . الاول سياسى يتبع فيه مزيجاً من السياسة التقليدية للامبراطورية البريطانية بمبادئه تلزمه إياها طبيعة تكوينه المدنى ، والثانى اجتماعى صرف ، يخضع فيه لمقتضيات طبيعة الاجتماع الانسانى . ولاشبهة مطلقاً في أن قوة الحزب تستمد من هذا التكوين المزدوج العجيب . إذ ترتكن ناحيته المتراوحة غير الثابتة - أى الناحية السياسية الصرفة - على ناحيته الثابتة غير المتراوحة - أى الناحية الاجتماعية الصرفة . هذا فى الحقيقة هو السر فى قوة حزب العمال ، بل السر فى أنه عماد قريب سوف يكون أقوى الاحزاب البريطانية ، إن لم يصبح أقوى أحزاب العالم أجمع .

أما انه سوف يكون أقوى الاحزاب البريطانية ، فهذا أمر لا يشك فيه انجليزى اليوم . أما من حيث قوته العالمية ، فذلك لأنه حزب جمع بين ثلاثة مبادئ . من أغرب أمور الدنيا أن يجمعها فى كيانه حزب واحد ، فهو كما يأتى :

(١) اشتراكية بلا شيوعية

(٢) فاشستية بلا استبداد

(٣) ديمقراطية بلا فوضى

فهل يمكن أن ننتفع فى مصر من مثل هذا النظام ؟ لا أظن أن هذا مستحيل إذا استطعنا تنفيذ مشروع « حزب الفلاح المصرى » ، واتحيننا فى تنفيذه قواعد النظام الانجلىوسكسونى

ياصاحب الدولة

ليس في العالم اليوم من ينكر إن الحضارة الانجلوسكسونية هي أثبت الحضارات نظاما وأوسعها حريات وألينها كيانا، مع أنها أقوى الحضارات تماسكا . ملكية ، أقل حقوقا من جمهورية . ودستور ، مستمد من روح الامة وتقاليدها ، لا من ذهنية المشترعين . وقضاء ، صار مضرب الأمثال في احتذاء قواعد العدل . وصحافة هي أنزه ماعرف فوق ظهر الأرض . وجامعات ، هي في الحقيقة معاهد لاخراج رجال خصوا بالاستقلال في الرأي والحرية والشجاعة . وسياسة دولية ، ظلت منتصرة على أوروبا مجتمعة خلال قرنين من الزمان . وسياسة استعمارية ، اذاقسناها بسياسة الفرنسيين - اكبر أمة استعمارية اليوم بعد الانجليز - كانت النظام والعدل ، بجانبه الفوضى والاستعباد والانحلال . حقائق ، لا يتشكك فيها اكبر المتريين ، ومفاخر لا ينازع الانجلوسكسون فيها شعب من شعوب الارض قاطبة .

هذه مقدمة بسيطة نخرج منها بنتيجة كبرى .

يتكلم اللغة الانجليزية اليوم ثلث اهل المسكونة على الاقل . فاهند واوستراليا وجنوب افريقيه وأمريكا وكندا كلها تتكلم اللسان الانجليزى وتنشر الآداب والثقافة الانجلوسكسونية . هذا الامر البسيط ، بصرف النظر عن الحقائق العامة كتغلب العنصر الانجلوسكسونى في العالم وبدا العنصر اللاتينى بالانحلال يجعلنا نعتقد أن للحضارة الانجلوسكسونية المستقبل في العالم ، وان الامم الناشئة ، كالأمم السامية الحديثة بانتحال الحضارة الغربية ومنها مصر ، اذا استطاعت أن تجارى تيار الحضارة الانجلوسكسونية الحديثة ، واتبعها على الاخص في نظامها الحكومى والتعليمي ، فازت عما قريب على امم اللاتين . ذلك لان الامم اللاتين تقاليد تصدها عن اتحال الحضارة الانجلوسكسونية ، في حين ان تقاليد الامم السامية القديمة قد تبلورت وتحجرت فلا تصدها عن اتحال حضارة المستقبل . وفي اعتقادى أن هذه الفرصة لا يجب أن نضيعها بل يجب أن ننتهزها وان نعمل على تقويتها بنظومات تشرب معها الامة روح هذه الحضارة ، من غير ان نجعل الامة تحس بنفور خفى من هذه الحضارة من طريق المزج بين البرنامج الاجتماعى والبرنامج السياسى

يا صاحب الدولة

لأنكر أن مطلقاً في أن هذه الوسيلة لاتصيرنا انجلوسكسونياً بالطبع ، ولكنى ارجح كل ترجيح -ح أن انتحاء اساليب التفكير الانجلوسكسونى فى تطبيق الديمقراطية وفهم مبادئ الحكم على القاعدة التى يفهمونهاها ، تمدنا بأكبر وسيلة نستطيع بها التغلب على العقبات التى تعترضنا فى تكوين حضارة جديدة على قواعد ثابتة ، بل واعتقد أنها الوسيلة التى بها نستطيع التغلب على لاتين البحر الأبيض المتوسط ، فحتفظ بمركز ممتاز بين امم الغرب ، شبيه بالمركز الذى حزنه بين امم الشرق . والذى يجب أن نعمل على الاحتفاظ به على الدوام

يا صاحب الدولة

اعتقد ان القواعد التى قررتها فى هذه المذكرة هى القواعد التى يجب ان يقوم عليها عملنا كأساس للمستقبل . ولاشبهة مطلقاً فى ان قيام الوفد المصرى بتنفيذ مشروع حزب الفلاح المصرى يجمع فى يد الوفد بين القوة السياسية والقوة الاجتماعية ، ويخص مبادئ الوفد السياسية بصفة الاستمرار إن تناوحت من حولها عوامل السياسة فى ظرف من الظروف او تحت تأثير عوامل من الصعب تقديرها الآن .

إن الوفد المصرى هو الحزب الوحيد الذى يستطيع أن يضطلع بهذه المأمورية ، بل هو الحزب الأجدر بان يمد يده لهذا المشروع بكل مساعدة مستطاعة . وهو بهذا يربح الجمع بين البرنامج السياسى والبرنامج الاجتماعى . فيحوز فى السياسة المصرية خاصة والسياسة الدولية عامة نفس القدرة يختص بها حزب العمال الانجليزى

يا صاحب الدولة

هذا ما أرى فى المشروع ومزاياه ولاأظن الا اننى فائز فى النهاية بتعضيدك وعطفك وكلى امل فى نجاح هذا المشروع الذى هو نجاح لمصر التى ضحيته من اجلها وسوف تضحي بكل ما بين يديك من قوة وجهد وحطام وتفضل يا صاحب الدولة بقبول احترامات

خادمكم المطيع

مذهب الفلاح المصرى

The Egyptian Agrarain Party

مبادئ الحزب الاجتماعية والسياسية

شرحنا فيما بعد المبادئ الاجتماعية التى نرى أن الحزب يجب أن يقوم عليها لتكون أساسا ومبررا لتكوينه
أما فى الناحية السياسية فلا سياسة للحزب الا السياسة الوطنية أو الدولية التى
تقر عليها

الرياسة الوفدية

على المبادئ القويمة التى بثها المغفور له الزعيم الأكبر

سعد زغلول باشا

مبادئ الحزب الاجتماعية

(١) التسوية بين الناس فى فرص الحياة

تقضى الديمقراطية المعقولة بأن يتساوى الناس فى فرص الحياة كما يتساوون أمام القانون . كذلك تقضى الحرية الصحيحة بأن كل امرئ عليه وزر ما اكتسب وله فائدة ما كسب . فاذا سيطر هذا القانون الطبيعى على نظام الاجتماع فان كل فرد يحنى من الدنيا بقدر ما تؤهل به مواهبه وتنتهى كفاياته فى دائرة القواعد الطبيعية ويظل النظام الرأسمالى قائما على قواعد الحرية والآداب العامة
بهذا تتوفر أسباب المساواة فى اعطاء كل فرد من أفراد الجمعية فرصة مساوية أو مقاربة لما لغيره فى الحياة ، ويترك الجميع يرتعون فى فناء الحرية الواسع ، والكل يورثون النظام الاجتماعى القائم على نتيجة مواهب الفرد وكفاياته ، نواتج مجهودهم . وبذلك نضع نظاما تسود فيه المساواة النسبية المرتكزة على منتوج المواهب الفردية

وتقضى على الوهم السائد في المساواة المطلقة التي هي لدى الواقع عبارة عن وهم صرف
وخيال محض ، ونحتفظ بنظامنا الرأسمالي ليكون قاعدة للحياة الاقتصادية للبلاد ،
على الحدود التي سوف يحدد بها في مبادئ الحزب

(٢) نشر التعليم العام وتهيئة فرصة التعليم العالي لأكبر مجموع من الامة
لاشبهة مطلقاً أن أقوى سلاح يتسلح به الفرد في نظام المجتمع في العصر الحديث
هو التعليم سواء كان علمياً أو فنياً أو صناعياً . كما أن طبيعة العصر الانتاجي الحديث
قد أضعفت من سلاح المال ، بقدر ما كان لهذا السلاح من قوة في العصر البائد ، عصر
الاقطاعات الذي ظل أثره قائماً في مصر الى عهد قريب . فاذا أردنا ان نضمن للناس
فرصاً متساوية في الحياة ، اضطررنا الى وضع نظام نكثرفيه من الجامعات ودور
الثقافة على اختلاف ضروبها ؛ بحيث يضمن للنجاح في أبناء الامة بصرف النظر
عن مقدرة أسرهم المالية ، فرصة في التعليم يتساوون فيها مع أولاد أصحاب رؤوس
الأموال الكبيرة

وتنفذا لهذا ووصولا للنتيجة المرغوب ، فيها يجب نشر التعليم العام على صورة
تضمن اظهار مواهب الافراد في حال تعليمهم ، ليكون ذلك سلماً لبلوغ النجاح منهم
على اختلاف مراكزهم الاجتماعية ، إلى التعليم العالي

(٣) تحديد ملكية الارض الزراعية وزيادة نسبة صغار الملاك
لاجرم أن أكبر خطر يتعرض له شعب زراعي يسكن وادياً محدوداً كوادى
النيل، هو ترك مسألة الملكية من غير تحديد للكمية التي تملك . فان هذا من شأنه أن
يزيد الغنى غنى والفقير فقراً . بل ان هذا من أكبر العوامل التي تنقص من عدد
صغار اصحاب رؤوس الاموال . وفي ذلك خطر كبير على النظام الاجتماعى يزعزع من
قواعده ويهد من أساسه .

والمقترح أن تحدد الملكية في النهاية القصوى بخمسائة فدان يملكها رأس عائلة وأولاده
في حال حياته . وبحكم التوريث بعد الوفاة نصل من غير احتياج للقيام بأعمال يشعر

معها الناس بعسف ، إلى هذه النتيجة . فمن يملك الآن ١٠٠٠٠ فدان تقسم بعد وفاته على اثنين فيملك كل منهم ٥٠٠٠ ثم تقسم على عشرة بعد وفاتها وبهذا تصل إلى النتيجة المرغوب فيها من غير حاجة للالتجاء إلى عمل غير عادى أو نزع قهرى للاملاك .

وهذا الأمر يزيد من عدد صغار أصحاب الاطيان فيعم الرخاء ويزيد الناتج من الغلة بحكم الضرورة ويصبح في البلاد رأس مال نقدى تنشأ به البنوك والشركات والمصانع والاساطيل التجارية وبقية المشروعات التي تفوتنا فيها الامم الاخرى .

وعندى ان تنفيذ هذا المبدأ أكبر عامل على استقرار الحالة الاجتماعية وضمان بقائها مستقرة أطول عصر يمكن في المستقبل

(٤) انشاء المصانع والمعامل برؤوس أموال مصرية وشركات مصرية بحتة

إن تحديد ملكية الاطيان الزراعية من شأنه ان يزيد رأس المال النقدى في يد الافراد . فاذا قام مشروع مصرى يؤسسه مصريون يحرم عليهم اشراك رؤوس أموال أجنبية فيه ، بل يكون كبنك مصر شركة مصرية بحتة . وهذا بخلاف الشركات التي يؤسسها الاجانب والتي سنتكلم عنها في المادة (٢٣)

(٥) الغاء الحروب والحض على كرهيتها

لا حرم أن الحروب من أبر المصائب التي تصيب الامم . وعلى الرغم من أن الفكرة العلمية في أساسها قد تغيرت بفضل مباحث العلماء فلم تصبح ضرورة اجتماعية طبيعية ، بل ثبت انها عبارة عن ارضاء شهوات ودوافع يمكن قمعها وكتبها ، فان اتجاه الدول العظمى لا يزال يؤيد تبرير الحرب لهذا يدعو «حزب الفلاح المصرى» الى الغاء الحروب ، وعدم الاشتراك فيها الا للدفاع عن النفس من عدو مهاجم على اعتقاد ان الحروب منهكة للامم مبيدة للثروات مبددة لخزون القوة الحيوية في الشعوب

وحزب الفلاح المصرى مع هذا المبدأ يحترم كل المسؤوليات التي ترتبط بها الامة ازاء اية امة من الامم .

(٦) غرس روح الاخاء الشعبوي بين الامم

الغاء الحروب لا يكون الا بغرس روح الاخاء الشعبوي بين الامم وعدم النزوع الى الشبهوات التي تسبب الكراهية المتبادلة بين الجماعات، لهذا يعمل حزب الفلاح المصري على توثيق عرى الصداقة بينه وبين امم العالم على اختلاف جنسياتها وعقائدها



(٧) محاربة المبادئ البلشفية

تقوم الشيوعية والبلشفية على مبادئ خيالية — مساواة — اخاء — حرية — فالمساواة تنافي الحرية، والحرية تقتضي المنافسة المشروعة بين الافراد، فهي بذلك تنافي الاخاء على المعنى الشائع الذي يلوح به الشيوعيون للناس. اذن فهي اساس للفوضى الاجتماعية ودواء دلت التجارب على انه غير ناجع في شفاء الامراض الاجتماعية التي نشأت مع حلول العصر الاتاجي الحديث. لهذا يحاربها حزب الفلاح المصري بكل قوة لانها تنافي مبادئه القائمة على اشتراك الناس في فرص الحياة وتقوية مبادئ الفردية (٨) وضع الجيش المصري (والاسطول المصري عند انشاءه) تحت

تصرف عصبة الامم، ليكون بمثابة جزء من البوليس الدولي تستخدمه عصبة الامم تحت اشراف القيادة المصرية في تنفيذ قراراتها.

تظل عصبة الامم مسألة نظرية صرفة ويظل عهدها قانونا غير منفذ ما لم تجد لديها من القوة ما تنفذ به قراراتها اذا عصتها امة من الامم المنضمة إلى عهدها. و مصر تفخر بانها اول امة من امم الارض تضع جيشها واسطولها تحت تصرف العصبة متحملة كل مشقة وتضحية ليكون بمثابة بوليس دولي يقر العدل في نصابه كل ما اعوز الحق قوة تنصره



(٩) العمل على اقناع اكبر عدد ممكن من الدول بمبدأ جعل جيوشها

واساطيلها تحت تصرف عصبة الامم لتكون بمثابة بوليس دولي.

لاجرم أن قبول الدول لهذا المبدأ تحت ضغط شعوبها، اذ تشعر بالحاجة إلى السلام، اكبر عامل على انقاص الجيوش والاساطيل وأعظم ضامن للسلام واقرار

العدل في نصابه . فاذا أمكن تنفيذ هذا المبدأ فلا تمضي سنوات قلائل حتى تصبح جيوش الدول عبارة عن بوليس دولي تحت تصرف عصبة الأمم . وفي هذا تحقيق عملي لما كان يعد حلما وخيالا منذ عهد قريب

(١٠) تحسين الحالة الصحية بين الفلاحين والعمال

ثمانية ملايين مصرى مصابون بالبلهارسيا . والمصابون بالانكلستوما عدد لا يقل ترويعا للنفس عن هذا العدد . والمرضان من الامراض المتوطنة في مصر ، وجدت آثارهما في الجثث المحنطة منذ آلاف من السنين . واذا كانت لدينا احصائيات دقيقة كالأحصائيات التي ينظمها الأمريكيون ، لاستطعنا أن نعرف مقدار ما يضيع على البلاد من انتاج بتأثير هذه الامراض بما تستنزف من القوى وتقتل من النفوس . فن واجب حزب الفلاح المصرى ، ان يعمل بجهد على حماية الفلاح بكل الطرق الممكنة من هذه الامراض وتشجيع الابحاث العلمية المؤدية الى القضاء على الاسباب المحدثة لها . كذلك لا يخفى أن نسبة وفيات الاطفال في مصر مروعة . لهذا يعمل حزب الفلاح المصرى على ارشاد الامهات الفلاحات إلى طرق العناية بترية الاطفال ومطالبة الحكومة بتعيين اطباء اختصاصيين في امراض الاطفال في كل مراكز القطر المصرى ، ولو احتاج الأمر إلى زيادة الضرائب بما يوازى سد النفقات الضرورية لجعل العيادات مجانية للرضى من الاطفال

(١١) الزام أصحاب الاطيان ببناء مساكن تتوفر فيها الشروط الصحية للفلاحين وتنظيم القرى المملوكة لصغار الملاك على القواعد الصحية الحديثة . ان من أعظم ما أصيبت به البلاد في كل عهودها التاريخية أمران : المجاعات أولا ونسبة عدد الوفيات ثانيا : أما الآن فقد أمنت البلاد شر المجاعات . ولانغالى اذا قلنا إن وقوع مجاعة في مصر يكاد يكون في حكم المستحيل الآن . أما نسبة عدد الوفيات فكبيرة وعلى الاخص عند حدوث الوافدات الوبائية : والسبب الاكبر في ذلك شكل المعيشة والمساكن : فالحزب يرى من أول واجباته أن يعمل على سن قانون ببناء العزب

الملوكة لكبار أصحاب الأقطان والقرى على نظام جديد تتوافر فيه الشروط الصحية على القواعد الحديثة . ويكون من المسائل الأساسية في هذا التشريع فصل حظائر المواشى عن البيوت فصلاً تاماً وبناء أفران عامة كالتى ترى فى المدن ومستحاثات حديثة الطراز ومرشحات لمياه الشرب :

(١٢) التوسط بين أصحاب الاقطان والفلاحين فى ابان اشتداد الازمات المالية أو حدوث الظروف القاهرة لحفظ التوازن بين مصالح الطرفين .
فى البلاد الزراعية وعلى الأخص فى البلاد التى تكون علاقة المالك فيها بالزراع علاقة مؤجر ومستأجر بالمال لاعلاقة المستأجر من الغلة ، تكثر حدوث الازمات المالية الشديدة فجأة وبلا انذار : هذا اذا تذكرنا أن ثمن المحصول الرئيسى فى بلادنا وهو القطن ، متوقف دائماً على مقدار ما ينتج منه فى البلاد الأخرى . لهذا يجب أن يعنى الحزب بوضع نظام للتوسط بين أصحاب الأقطان والمستأجرين (والمزارعين) عند حدوث مثل هذه الازمات حماية لليد العاملة من الفقر المدقع الذى يعيش فى أكنافه أكبر مجموع من فلاحى مصر فى أغنى بقاعها انتاجاً للمحصولات الزراعية . ومن أكبر طرق الإصلاح التى يجب أن تباشر بطريقة عملية تلقين الفلاح طرق الاقتصاد الزراعى على القواعد الحديثة .

(١٣) العمل على رفع أسعار المحاصيل الزراعية وإيجاد أسواق تُروج فيها فى أنحاء العالم :

لرفع أسعار المحاصيل يجب العمل على الاكثار من نظام البنوك القروية برأس مال صغير وفوائد قانونية تحمى المزارع من يد التاجر فى إبان الازمات المحلية التى تتكرر فى كل سنة على وجه التقريب ، ثم السعى فى إيجاد أسواق محلية أو خارجية لتصريفها بحيث يضمن فيها جزء من ربح التاجر الزائد عن المعقول للفلاح المنتج لها .

(١٤) حماية الاصناف العليا من القطن المصرى باعتبارها الثروة الحقيقية للبلاد متماز مصر بانتاج انواع خاصة من الخماصيل كالقطن السكلارىدى مثلاً . فمن

واجبات الحزب حماية هذه الاصناف بطرق عملية والعمل على الاكثار منها وتوليد اصنافها العليا احتفاظاً بثروة البلاد الحقيقية

(١٥) تهيئة المهاجر الزراعية للفلاحين وعلى الاخص السودان

ان زيادة عدد سكان مصر زيادة مطردة يجعل التفكير في امر المهاجر من الآن امرأ ضرورياً، والواجب أن يغرس في عقلية الفلاح المصرى من طريق التربية حب الاستعمار الانتاجى فى اقطار غير القطر المصرى تمهيدا لما سوف نواجهه من ازمة اجتماعية فى المستقبل القريب نحتاج فيها الى سن قوانين الهجرة الاجبارية ان لم نغرس فى نفسية الفلاح المصرى حب الاستعمار والانتاج فى بلاد زراعية اخرى، وعندى أن المهاجر نوعان مهاجر غير طيعية نضطر لها عند الضرورة : كفلسطين وسوريا والعراق وشمال افريقية . ومهجر طيعى واحد هو السودان

(١٦) المطالبة بحق مصر فى السودان كاملاً باعتبارها المهجر الطيعى للفلاح المصرى

بما ان السودان هو المهجر الطيعى للفلاح المصرى ، فيجب الدفاع عن حقوق مصر فيه كاملة وبكل قوة من الوجهتين السياسية والمالية

(١٧) حماية ماء النيل والعمل على جعل سياسة الماء خاضعة لحكومة

مصر ووافية بحاجة البلاد أولاً .

بما ان وادى النيل كل لا ينفصل عملاً بالقاعدة الطبيعية القائلة « الانهار تصل والجبال تفصل » — وبما ان ماء النيل ليس باقل ضرورة للمصرى فى السودان منه فى مصر، اذن وجب العمل على حماية ماء النيل بكل الطرق المستطاعة مع جعل سياسته المائية خاضعة لحكومة مصر ووافية بحاجة مصر اولاً، والسودان ثانياً .

(١٨) العمل على زيادة الانتاج من المناجم المصرية والسودانية

المناجم المصرية والسودانية كثيرة ومعادنها عظيمة الفائدة مضمون بها الثروة

الحقيقية ، فيجب العمل على زيادة الانتاج منها وعدم التصريح باحتكارها للاجانب ،
إلا اذا اشتركت رؤس الاموال المصرية فيها بقدر كبير لا يقل عن ٥٠ في المائة
على كل حال

(١٩) العمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية كزراعة
الفواكه وغيرها

لا يزال المصريون في مجموعهم يتبعون القاعدة القديمة في الانتاج بقدر الحاجة ،
وما زاد عن حاجتهم في المائة السنة الأخيرة جاء رغم انوفهم باصلاح طرق الري
وتثبيت قواعد الحكم، اى تأمين الانفس وتأمين الحقوق ، وفي اتباع هذه القاعدة ضياع
ثروة البلاد من اوجه كثيرة اهمها الاعتماد على محاصيل محدودة الموارد محدودة
الاسواق. لهذا يجب العمل على زيادة الثروة الاهلية بزيادة مصادرها الزراعية

(٢٠) تعليم الفلاح طريقة تربية الدواجن باعتبارها جزءاً مفقوداً من
ثروة البلاد

ان طريقة تربية الدواجن من الثروات الحقيقية لهذا يجب العمل على تعليم الفلاح
بوسيلة علمية عملية طريقة تربية الدواجن باعتبارها احدى مصادرها الثروة الحقيقية في قطر
زراعى كالقطر المصرى

(٢١) ادخال الطرق الفنية العلمية الحديثة في الزراعة وتهيئة الظروف
لانتفاع صغار الفلاحين بها

لانكران أن الطرق التى يتبعها الفلاح المصرى في الزراعة لانفى بحاجات العصر
الحديث، فيجب ادخال الطرق الفنية العلمية الحديثة في الزراعة وتهيئة ظروفها بتكوين
شركات قروية للقيام بمهام الزراعة كالحرث والضم والدراس وما الى ذلك تمهيداً
للاقتصاد في وقت الفلاح وحماية لمواشيه وقواه التى يستطيع صرفها في سبيل العمل
لمنتوجات أخرى

(٢٢) تحريم بيع الاراضى لغير المصريين الا لاجل محدود وسن

قانون بذلك

هذه مسألة ذات أهمية كبرى . فكل البلاد الزراعية تحمى اراضيها من الانتقال الى أيدي الأجانب الا مصر . وجبا في الانتفاع بمجهود الاجانب وعدم حرمان مصر من أوجه الانتفاع برؤوس أموالهم ، يعمل الحزب على سن قانون يحرم فيه على المصريين بيع اراضيهم لغير مصريين الا لاجل على القاعدة المتبعة في انجلترا مثلاً

(٢٣) سن قانون بتحريم انشاء الشركات الانتاجية وغيرها اذا لم يحتفظ بنصف أسهمها على الاقل للمصريين

يعمل الحزب على سن قانون يحرم فيه على الحكومة التصريح بأنشاء شركات اجنبية الا إذا احتفظ بنصف اسهمها ارؤوس الاموال المصرية . و كذلك بيع امتيازات الشركات التى تنتهى آجالها وتنتقل للحكومة الى المصريين دون الاجانب بحيث تكون ملكا للمصريين دون غيرهم

(٢٤) ضم النقابات الزراعية الموجودة او التى توجد لسياسة الحزب وطنياً واجتماعياً

بما أن النقابات الزراعية تعمل لبعض الغايات التى يعمل لها الحزب ، فان من سياسة الحزب الاساسية ضم النقابات اليه وطنياً واجتماعياً لتوحد الجهود فى سبيل الصالح العام

(٢٥) تلقين الفلاح المصرى معنى الاستقلال فى الرأى والشجاعة على ابدائه وطرق الدفاع عن حقوقه وتحبيب الحرية اليه وغرس مبادئ الفضيلة فى نفسه يشعر الفلاح المصرى شعوراً عميقاً مؤلماً بأنه بمعزل عن الحكومة وأن الحكومة أكبر أعدائه . وهذا الشعور العميق يخفى وراء الظواهر التى تلوح على وجه الفلاح المصرى من حب الحكومة واحترامها . والسبب فى هذا يرجع إلى أمرين :

الاول : استبداد الحكومات التي توالى على مصر حكمها منذ أبعد الازمان . والثاني :
معاملة الفلاح كأنه كائن بلا حقوق مدنية ، سواء أمن جانب الادارة المباشرة للحكومة ،
أم من جانب أصحاب الاملاك الذين هم في معاملتهم للفلاح أشبه بأصحاب القطاعات في
العصور الوسطى . لهذا يجب السعى على ترقية مستوى الفلاح المصرى خلقيا ، ليستطيع
الدفاع عن حقوقه الطبيعية ازاء الادارة و ازاء أصحاب الاملاك

اللائحة الداهلية

أمرها متروك للجنة التأسيسية للنظر فى وضع قانونها وعلى الاخص فى المسائل
الآتية :-

- ١ - الرياسة تكون دائما لرئيس الوفد المصرى
- ٢ - السكرتارية تكون دائمة لصاحب الاقتراح ومن بعده بالانتخاب
لمدة خمس سنين
- ٣ - نظام الحزب
- ٤ - لجانه الفرعية .
- ٥ - قبول الاعضاء والتفريق بين اعضاء عاملين ، واطضاء منتسبين
- ٦ - اللجنة الادارية .
- ٧ - اللجنة التنفيذية .
- ٨ - مهمة السكرتارية .
- ٩ - أمانة الصندوق .
- ١٠ - تأسيس جريدة باسم « الفلاح »

اسماعيل مظهر



ملك يقرأ

الوصف لصورة تمثل حسناء تقرأ وقد أسندت كتابها الى جمجمة بشرية

يا حبذا التخيل والتصوير
ملك يضيء من الذكاء جبينه
إنَّ الجمال لَبَّاءُ لَذَّاءُ جَدِيرُ
إنَّ الثرى للناعمين وَثِيرُ
فَكَأَنَّهُمْ وَسَائِدٌ وَسُورُ
فَالْجِسْمُ بَضٌّ وَالشَّبَابُ غَضِيرُ
أُنْقَى مِنَ الذَّهَبِ الْكَرِيمِ شُعُورُ
وَلَعَلَّهُ عَجَبُ الشَّبَابِ بِمُورُ
يَتَأَوَّجَانِ : مُدَافِعٌ وَمُغِيرُ
وَبِنَاهِدِيَّةٍ تَرَى اللَّذَازَةَ وَالْهَوَى

* *

إِنَّ الطَّبِيعَةَ فِي جَمَالِ صَنِيعِهَا
وتود إخفاءً للمهارة شِيمَةً
وَكَأَنَّمَا تُبْدِي بَدَاهَةً شَاعِرٍ
تُبْدِي الطَّلِيقَ وَلَوْ بِهَا تَسْخِيرُ
إِنَّ التَّعَمُّدَ بِالْجَمَالِ يَجُورُ
إِنَّمَا ارْتَأَى شَيْئًا بَدَى التَّعْيِيرُ

يَتَلَوُ كِتَابًا فِيهِ آيَاتُهَا
نَهَبُ النُّفُوسِ حَيَاةَ رُوحِ فَاضِلٍ
لَكِنْ يُشَابُّ سُرُورَهُ إِنَّمَا رَأَى
وَلَرُبَّمَا قَدْ كَانَ رَأْسُ مَلِيحَةٍ
تُلْقَى عَلَيْهِ الْكُتُبُ وَقَدْ قَرَأَتْ
وَقَعَ جَمِيلٌ فِي النُّهَى مَشْكُورُ
وَتَبَيَّنَ عَنْ طَرُقِ الْهُدَى وَتُشِيرُ
عَظْمًا يَجُورُ بِهِ الْفَنَاءُ وَيَغِيرُ
بِرْزُهُ عَلَيْهِ الْحُسْنُ وَهُوَ طَرِيرُ
فَاعْجَبْ لَصَرْفِ الدَّهْرِ كَيْفَ يَدُورُ!

وَكَأَنَّمَا الْفَنَاءُ يُعْلِنُ مُفْصِحًا
الخرطوم :
إِنَّ الْحَيَاةَ ضَلَالَةٌ وَغُرُورُ
محمد عسري الصديق

على السفود



وللسفود نارٌ لو تَلَقَّتْ بِجَاجِهَا حَدِيداً ظَنُّ شَحْمًا
وَيَشْوَى الصَّخْرَ يَنْزُكُهُ رَمَادًا فَكَيْفَ وَقَدْرَ مَيْتِكَ فِيهِ لِحْمًا؟

« مفتاح نفسه » وقفل نفسه !!!



يسرنا أن يكون الأدباء والكتاب قد أخذ كل منهم يحاذر جهده أن يكون هو
المغفل الذي يشهد للعقاد بأنه أديب أو شاعر أو كاتب بعد أن مرقتنا الاعلانات
الكبيرة الملونة التي كانت ملصقة على هذا الحائط !!! وبد أن أريناهم الحائط نفسه طيناً
وحجراً ، لأصباغاً ولا ألواناً ، وما هو الا الحائط وما هو الا العقاد
ما من أديب الآن يجسر أن يظن في هذا العقاد — اذا أبعد في حسن الظن —

الا أنه كاتب جرائد يحسن صناعته ويستجمع آلاتها من الاطلاع المتنوع والترجمة
ثم . . . ثم الصفاقة والمكابرة والكذب السياسى ، ثم الدجل العالى
الصحافى!!!! وانتهى

اما العقاد الذى كان تحت الاعلانات . . . فيهايات هيات وقد كان أول نحسه
طرده من جريدة البلاغ لان هذه الجريدة الكبيرة كانت بمنزلتها تصبغ شيبه ، وتخفى
عبيه ، وتجعله (نايه)

ومن العجيب ان رجالا من حكومة العراق كانوا من المخدوعين به أو فيه أو منه
فأرادوا أخذه الى العراق مدرساً للآداب العربية وكادوا يحنونها على الأدب اغتراراً
بتزويق الحائط ولكنهم تنبهوا أخيراً أن رأوا العقاد على السفود وتركوه لما به
ولولا ذلك لما عرفوه إلا . . . إلا (بعد خراب البصرة) . . .

ما هو هذا العنصر الكيمائى العجيب الذى يحول كاتب جرائد فى لحنه وعاميته
وفساد ذوقه وسقم فهمه وضعف اطلاعه وتهافت ناحيته فى النظم والنثر — الى
مدرس للآداب العربية العالية فى حكومة العراق ؟ أما إنه إن لم يكن عند هذه
الحكومة حجر الفلاسفة لتجعل مثل العقاد مدرساً للآداب العربية بقوة الرجم
الكيمائى — إن لم يكن عندها حجر السحر هذا فقد والله كادت تخرب البناء الذى
تريد أن تقيمه بغلطتها فى حجر الزاوية

(مفتاح نفسه) كلمة وضعها العقاد عنواناً لمقال نشره فى المصور الصادر لذكرى
المغفور له سعد باشا لان العقاد لا يزال ينفق من نقود كاذبيه على سعد فهى تسد
ناحية من إفلاسه الى زمن طويل على ما نظن . جعل عنوان المقالة هكذا : الزعيم
الفقيد مفتاح نفسه (١) . فأولا ما معنى (الفقيد) وقد مضت سنتان كاملتان على
موت سعد ؟ وثانيا ما معنى (مفتاح نفسه) على قواعد التركيب العربى ؟

لا وجه للأولى الا الركافة والحشو وطريقة الجرائد . ولا معنى للثانية الا
للوصفية المتمكنة من نفس العقاد والغالبة على طبعه ، فيعجز حتى عن كتابة عنوان
فيلجأ الى سرقة هذه الاستعارة الانجليزية ونصها عندهم The key of his soul يريدون
أنك تفتتح أغلاق الرجل من جهات نبوغه بدرسه من جهات اعماله وأخلاقه فكان

صواب الترجمة — ان كان لابد من السرقة حتى في عنوان !!!!! — الزعيم نفسه مفتاح نفسه ، أو هو نفسه مفتاح نفسه . لابد أن يتقدم العبارة الانجليزية تؤكد أو يبان لتستقيم عربية المعنى . فقل الآن في كاتب يسرق حتى العنوان ويعجز فيه أيضاً قلنا مراراً ان هذا المغرور المتشاعر سقيم الفهم في العربية وهذه هي علة تعلقه بكلمة الجديد وزعمه انه يجدد كما هي علة أمثاله من الأدباء الملقين في عربيتهم وأوربيتهم على السواء . وهي أيضاً السبب في تجنب العقاد أن يفسر شيئاً من الأدب العربي كما هي السبب في انحطاط شعره وكتابته . وقد رأينا له في مجلة الجديد (١) كلمة من تخطيطاته عن ابن الرومي «كاد يفسر» فيها أبياتاً لهذا الشاعر فخط خطب العمياء لا العشواء قال ستره الله بأسكاته :

هل ترى هذا الغائص الذي تعلم السباحة ليغوص لا يسبح ؟! أو ترى هذا الخائف المراقب الذي يمر بالماء في الكوز من الجانب ؟ هو ابن الرومي حيث يقول عن نفسه : (أى في البحر)

وكيف ولو ألقيت فيه وصخرة لوأفيت منه القعر أول راسب
ولم أتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص والمضغوف غير مغالب
فأيسر إشفاقى من الماء اتى أمر به في الكوز من الجانب
انظر ايها القارىء . ابن الرومي يقول : لم أتعلم قط من ذى سباحة سوى الغوص فيكون معنى هذا أنه « تعلم السباحة » (وتعلمها) « ليغوص لا يسبح » ؟ ان المعنى الذى يقصد اليه الشاعر هو هذا . أرى ذا السباحة يسبح ويغوص ولما كان الغوص أيسر العملين لانه لا يحتاج لتعلم الخط في الماء وشقه والنجاة منه ، فأنا قد تعلمت هذا وحده دون السباحة فلا ألقى مع صخرة في الماء حتى اسبقها الى قعر البحر .

هذا هو المعنى الشعري فاما ان كان « تعلم السباحة » ولكنه لم يتقنها فكانما « تعلمها ليغوص لا يسبح » فقد فسد بهذا الكلام الحس الشعري الدقيق البديع ، وأصبح المعنى في سخافته وركا كته يشبه شعر العقاد لاشعر ابن الرومي وقال ستر الله عليه . وهل ترى ذلك المفهوم الذى يسره الى الطعام حتى في الأحلام

و يأسف على أن ينادعنه وهو في المنام ؟ هو ابن الرومي بعينه وهو القائل :

ولقد منعت من المرافق كلها حتى منعت مرافق الأحلام
من ذاك أنى ما أرانى طاعما فى النوم او متعرضا لطعام
الا رأيت من الشقاء كائننى أننى وأكبح دونه بلجام

تأمل (قوى قوى) فى تفسير المغفل ثم فى شعر ابن الرومى وقل لى هل يصف
ابن الرومى « شراسته ونهمه وأسفه » أم هو يبالغ بهذا الاسلوب البديع فى ضعة
فقره وأنه لهذا الفقر محروم حتى بما هو غنى طبيعى للفقراء لان الفقير متى تعلقت
نفسه بشهوة لا يجدها جاءت هذه الشهوة فى أحلامه من عمل نفسه وكان لا بد أن
يمكنه وأن ينالها ، وذلك قانون طبيعى كما قرره العلم أخيراً فى أسباب الأحلام
وتأويلها بالشهوات الممتنعة أو المنقمة . ويعبرون عنها (بالمكبوتة) وهو خطأ وتسمح
فابن الرومى يصف شقاء جده وصفا دقيقا لا يحس به غي مثل العقاد وفضلا
عن أن سياق الشعر لا يؤتى المعنى الذى فهمه هذا الغي فان هذا المعنى لن يتأتى الا
اذا ثبت أن ابن الرومى كان طفيليا ، طفيليا بكل الاوصاف الماثورة عن هذه الطائفة
وهذا لم يقل به أحد الا طفيلى الأدب العقاد . ومن العجيب أن لهذه الايات بقية
تكاد تنطق بأن ابن الرومى لا يريد شراة ولا طعاما ولكنه يقرر ابتلاءه بعثار الجد
وأن ما يناله الناس بأهون سبيل وأيسر حركة من حرطات العاطفة يحرمه هو ويبتلى
فيه مع ذلك « بالغرم والاغرام » ، والعقاد مع هذا لا يفهم غرض الشاعر . ألا يرى
القراء أن هذه وحدها كافية فى الدلالة على بلادته وسقم فهمه كأن مادة مخ فى وعاء
جميعته قد كتب عليها صيدلى القدرة . . . لا يفهم من الظاهر

وقال غطاء الله . . . أما سخره من غيره فله فى أفانينه الكثيرة ومعانيه الغريبة ما
يقوم بديوان كامل . وبراعته فيه طبقة لا تعالوها طبقة فى نوعها ويندر أن يدانيها
فحول الساحرين فى المشرق والمغرب فله فى أحذب كان يضايقه ويترصده (كذا)
أمام داره ليتظير منه :

قصرت أخادعه وطلال قداله فكأنه متربص أن يصفعا

و كأنما صفعت قفاه مرة وأحس ثانية لها فتجمعا

تعالوا أيها القراء (وهاتوا معكم رجالا من العراق . . .) لنضحك من هذا

العامي المتشاعر الذي جعل ابن الرومي عاميا مثله ينجح الى لغة ضعيفة في تأنيث (القفا) ويقول عن الأعم الشائع . ولو كان هذا الشعر على هذه الرواية لكان ضعيفا إذ قوله « صفعت قفاه مرة » يوهم أن هذه (المرة) كانت في زمن من قبل فيفسد الوصف ويضعف التركيب . ويجب حينئذ أن تكون العبارة : وكأنيماضعفت قفاه صفقة وأحسن ثانية لها الخ

وقوله « فكأنه متربص أن يصفعا » من العامية التي لا ينقلها الا عامي مثل العقاد لان التربص ياعقاد الجرائد . . لا يكون الا في الانتظار الطويل الذي لا بد فيه من مكث وتلبث وبهذه الكلمة يفسد الوصف ويرجع هراء ، فان من ينتظر أن يصفع غدا أو بعد ساعة لا يكون تلك حالة ولا يتجمع

ثم « وطال قذاله » ثالثة الأثافي . فان القذال جماع مؤخر الرأس مما تحت قصاص الشعر أي القفا . فهل الأحذب طويل القفا ؟ وهل اذا قصرت الأخادع وهي كناية عن قصر ، الرقة يطول القفا ؟ أم ذاك الأحذب قد استعار قفا العقاد . . . فانخفضت رقبته ومع ذلك طال قذاله معجزة لجبار الذهن (١) . . . ما هذه البلادة في هذا الرجل ؟ خلصينا يا حكومة العراق من عاره على الأدب المصري وخذيه ولو مدرسا لتلاميذ الشهادة الابتدائية التي لا يحمل غيرها وغير شهادة الجميع له باللصوصية الادبية العليا !!!! ثم البيتان بعد هذا كله ليسا لابن الرومي بل هما مر ويان للامير بجير الدين بن تميم وتحرير الرواية هكذا :

قصرت اخادعه (وغاب) قذاله فكأنه (مترقب) أن يصفعا

(وكأنه) (قد ذاق أول صفقة) وأحسن ثانية لها فتجمعا

هذه هي صفة الأحذب وهكذا يكون الشعر لذلك التخليط العامي الثقيل المتناقض الذي لا نعجب ان لا يتنبه له (أديب فالصو) مثل عقاد الجرائد هذا .

١ - يصف الشاعر هذا الأحذب في صورته الجسمية برجل صفع على قفاه صفقة وأحسن بيد صافعه ترتفع لتهوى بالصفعة الثانية على قفاه فتجمع أي رفع كتفيه حتى التصقا برأسه لتخفى قذاله فتقع الصفعة على الظهر دون القفا فاذا تجمع ليخفى قذاله فكيف يقال في هذه الحالة (طال قذاله) ولكن العقاد رجل بليد في الادب العربية وايراده البيتين على هذا الشكل دليل قاطع في أنه ضعيف الفهم والتمييز وأنه لا يصلح لشيء في الأدب العربي لانه لا هو مطلع ولا هو يفهم ولا هو يحقق وليس هو أكثر من لص عمله النقل بسرعة وهمة على أوتوموبيل أو على عربة كارو أو على حمار أو على ظهره هو

أرأيت يا عقاد أنك لست هناك وأنتك تدعى الأدب العربي سفاهاً وأنتك في
تميزك غبي غبي لا تساوى شيئاً الا عند غبي غبي مثلك

والآن نقول اننا تلقينا كتاباً يتحدثانا صاحبه !!!!! أن نقصد قصيدة للعقاد سماها
(الخمر الالهية) . ويستدل صاحب الكتاب على فضل العقاد بشهادة (مين ومين
ومين) الخ الخ

نحن دائماً لا نضرب الا ضربات قاضية ولا نعرف هذا النقد الخنثى الذى نراه
فى الجرائد مما ليس فيه الا الثثرة ولا تقدير له الا بقولهم أربعة أعمدة أو خمسة
أعمدة ومن أجل ذلك سررنا بهذا الكتاب الذى تلقيناه وسأنتى بقصيدة العقاد
هذه بيتا بيتا ليرى بعينى رأسه وبكل أعين الناس انه (فالصو) من اوله الى آخره وأنه
لا يزيد عندنا عن حبة من القمح رأيت حجر الطاحون ساكتاً هادئاً متواضعاً لجاءت
تظهر سفهها وطيشها وتهمه بالبرودة والجود وتقول له انها من قمح استراليا
ثم . . . ثم دار الحجر

فى صفحة ٧٤ من يقظة الصباح ! ! ! الخمر الالهية . على طريقة ابن الفارض ،
ماهى طريقة ابن الفارض وهل يعرفها العقاد على حقيقتها أم هو يقلد فى هذا كما هو
شأنه دائماً ؟ الخمر فى لغة السادة الصوفية « شراب المحبة الالهية الناشئة عن شهود آثار
الاسماء الجمالية للحضرة العلية فانها توجب السكر والغية بالكلية عن جميع الاعيان الكونية »
افكذلك عاين العقاد وشرب وانجذب ! أم نظم قصيدته الملتفة فى خمرة بار من
البارات التى يتسكع فيها ، ويخرج منها بمخازيها ؟ سترى

ثم أن ابن الفارض ليس له فى الخمر غير قصيدة واحدة هى الميمية المشهورة ثم
آيات افتح بها تائيته الكبرى . وما عداها فلم يذكرها الا فى ثلاثة أو أربعة آيات
كل بيت فى قصيدة وهذه آيات من الميمية يتطهر بها القارىء قبل أن يخوض فى رجس
العقاد ويتنشق أنفاس السماء قبل أن ياخذ غبار الأرض

قال سلطان العاشقين قدس الله سره

شربنا على ذكر الحبيب مدامة سكرنا بها من قبل أن يخلق الكرم
ومن بين احشاء الدنان تصاعدت ولم يبق منها فى الحقيقة إلا اسم

وان خطرت يوما على خاطر امرى . أقامت به الأفراح وارتحل الهـم
ولو نظر اندمان ختم إنانها لأسكرهم من دونها ذلك الختم
ولو نضحوا منها ثرى قبر ميت لعادت اليه الروح وانتعش الجسم
ولو طرحوا في فيء حائط كرمها عيلا وقد أشفى لفارقه السقم
ولو خضبت من كاسها كف لأمس لما ضل في ليل وفي يده النجم
يقولون لي صفها فانت بوصفها خير ، أجل عندى بأوصافها علم
صفاء ولا ماء ، ولطف ولا هوا ونور ولا نار ، وروح ولا جسم

ويجب أن يرجع القارىء الى شرح الشيخ النابلسى لديوان ابن الفارض ليرى كيف
يفسرون معانى الخمر وأوصافها ، بما أدار الله تعالى على البابهم من المعرفة او من الشوق
والحبة ، وهو أمرينه وبين العقاد وامثاله ما بين الانسان والقرد
وقال « صاحب مرحاضه »

(عقود الدوالى أنت والخمر أشباه فله ما أسنى حلاك وأحلاه)

ان أراد ان تأثير العناقيد يشبه تأثير الخمر على التوهم فهو من قول ابن الفارض :
ولو طرحوا في فيء حائط كرمها ، الخ وقد ورد في هذا المعنى شعر كثير . وان أراد
أن العناقيد هى والخمر اشباه فى الشكل أو المعنى فليس كذلك . والحقيقة انه سرق
هذا المعنى من (حديث القمر) ولم يحسن سبكه وهو هناك بهذا النص : يتخيلا
(أى الآمال) ابتسامات من السعادة كما يرى المدمن فى عناقيد الكرم سجابة من
الخمر . فانظر اين هذا الرصف من ذاك واين الدقة من الغموض « وان الذباب ليقع
على الزهر كما يقع النحل ليجنى العسل ، وانه ليطن فى الروض كما تغرد الطيور لترقيص
قلوبها الصغيرة . ثم يطير عن الزهرة ذبابا كما وقع ، ويسكت ذبابا كما طن ، وكيفما نظرت
اليه لا تراه الا ذبابا . ولكنه من الطير ولكنهم من الشعراء » (١)

وهذا هو وصف العقاد بعينه فى كل سرقاته . وقد طبع حديث القمر فى سنة
١٩١٢ قبل أن تظهر (يقظة الصباح) .

وقول العقاد (ما اسنى حلاك واحلاه) خطأ لان الحلى جمع حلية فيجب أن يعود

١- اشارة الى قول العقاد « مرحاضه أفخر أثوابنا » وقد مر فى السطور الثالث وقد كان العرب يلقبون
شعراءهم بكلمات قالوها فليكن لقب العقاد منذ الآن : صاحب مرحاضه

عليها الضمير مؤنثا فيقول واحلاها . وانظر اين معنى الحلاوة من معنى سنا الحلية الا أن يكون من قول نساء العامة لكل جميل (يا حلاوة)

(لآلىء قد نيطت بأسماط عسجد فصدر الدوالى مشرق النحريات)

انظر كيف يصنع الشاعر الحقيقى فى مثل هذا . قال ابن الرومى فى وصف العنب

لأنه - يبقى على الدهور قرط آذان الحسان الحور

وقال فى البلح : قتشعت الاكف غفلت فيها لآلىء فى السلوك منظمت

فهو لا يجعلها لآلىء حتى يوطىء لها تومئة وقوله صدر الدوالى مشرق النحر . كلام

غير مستقيم لان العناقيد على صدر الدالية . فن أين لصدرها نحر ؟ (١)

كان حبوب الكرم بين سلوكها كؤوس من البلور قد صاغها الله

سرقه من ابن الرومى فى وصف العنب الرازق (الأيض الطويل)

ورازق مخطف الخصور كأنه مخازن البلور

يريد ابن الرومى الشبه فى خزن الضوء وهو معنى جميل دقيق فجعلها العقاد (كؤوساً)

وثرثر بقوله صاغها الله . ثم الحبوب لا تكون (بين) سلوك العناقيد بل السلوك هى

التي تكون بين الحبوب لأنها تحملها اى ليست من معامل الزجاج

(كأننى أرى بالعين ضمن قشوره سلافة جام سوف تجنى حمياه)

هذا تكرار للبيت الاول ثم قوله (أرى بالعين) كلام سخيف فيماذا يرى ؟

وضمن قشوره كلمة عامية حقيقة بان تكون لغة كناس من كناسى الطرق . وسوف

(١) الثابت عندنا ان العقاد بليد سقيم الفهم وخاصة فى فهم الشعر العربى وهذا يدل

على انه غير ناضج لا يانا ولا شاعرية . ونظن انه سرق ما جعله للكرم نحر من قول ابن الرومى

بنت كرم تديرها ذات كرم موقد النحر مثمر الأعناب

حصرم من زبرجد بين ينغ من يواقيت جمرها غير خابى

وظن لسوء فهمه ان الشاعر يصف الكرم (شجر العنب) والحقيقة ان ابن الرومى

يريد بقوله (ذات كرم) النخ ان النحر تديرها امرأة غنجة كثيرة الحلى كأنها فى حلاها

شجرة كرم بعناقيدها فالحصرم فيها زبرجد والناضج يواقيت . وفى ديوان ابن الرومى

(بين نع) وهو تحريف وقع فيه النساخ والطابع ايضا

تجنّي حمياه ، الطامة الكبرى ، فكيف يرى بالعين سلافة ، ثم يقول سوف تجنّي ،
وسوف للاجل البعيد . وهل يقال جنيت الخمر وحمياه حشو لا موضع له البتة فكأنه
قال أرى بالعين سلافة كائن سوف تجنّي سلافة هذه الكائن . وانظر اى خلط هذا ؟

(ويسعى اليها الشاربون بمجلس يحف به عشب أثيث وأمواء)
اليها يعنى الى الخمر التى يراها بالعين سوف تجنّي . . . فالرجل فى منام اذن ، وليس
يرى بالعين لانه مع ان هذه الخمر سوف تجنّي ، فقد رأى الشاربين يسعون اليها . . .
وصفة المجلس فى شعر هذا الدعي الثقيل من أبرد ما جاء به شاعر عامى ساقط .
هل يهتم بالشب الأثيث والأمواء ، الاحمار يحلم بالبرسيم ونحوه ، او من فيه روح
حمار ؟

(كليلتنا وأدهر وسان غافل وقد أيقظ العود الصفاء فلباه)
اذا كان الدهر وسان فهو غافل حتما ولا يبقى لهذه اللفظة معنى . وسان وأيقظ .
هذا هو بديع العقاد كائن ما يحى به مبتدى . . . وأيقظ العود الصفاء ، هذه كلمة
من الشعر الذى كان قبل سبعين سنة حين كانت الفاظ الشعر واستعاراته مثل ايقظ
الصفاء ودعا الهناء ولبي الأنس الخ ، وما دمنا فى البديع فهل أيقظ يناسبها لبي ؟ ام هذه
تناسب دعا ؟ هذه هى صناعة العقاد ليس فيها الا كلام عامى منظوم ، ومع ذلك لا
يخجل ان يجعلها (الخمر الالهية) وتبلغ به الوقاحة ان يقول انها على طريقه ابن الفارض .
أما وقد رأيت طرب مجلس العقاد ، انه كله فى ايقظ العود الصفاء فانظر كيف
يصنع الشاعر فى الابتكار لمعنى الطرب فى مثل هذا المجلس واقرا قول مسلم بن الوليد

سلكننا سبيلا للصبي اجنية ضمنا لها ان نعصى اللوم والزجرا

بركب خفاف من زجاج كأنها ثدى عذارى لم تخف من يد كسرا

علينا من التوقير والحلم عارض اذا نحن شتتا أمطر العزف والزمرا

ومسلم هج له ابو نواس هذا المعنى فى قوله

لا أرحل الراح إلا أن يكون لها حاد بمختل الأشعار غريد

جاء ابن الوليد بالرحل والركب والطريق وسمائها على أبدع ما تتبكر القريحة
وهكذا يكون الشاعر فى توليده وابتكاره ان كان شاعرا . فأما ان كان عامياً ملفقا

لصاً كالعقاد فهو يصنع كما رأيت العقاد يصنع سائخاً ومسخاً كأنه (عطا شجي
وابور) يقدم خرقة لامرأة حسناء تمسح بها عرق الخجل من وقاحته
وسوء أدبه

لا ينبغي ان يحى الشاعر بمعنى متداول
او مبتذل الا اذا وضع له تعليلاً أو
زاد فيه زيادة او جعل له سياقاً ومعرضاً
او نحو ذلك ليسكون هو في معنى غيره، فكأنه
معناه هو . وأى شيء في « أيقظ العود للصفاء
قلباه » غير استعارة النوم للصفاء والايقاظ
للعود كأن العود خادم في (لو كاندت نوم) ...



انظر باعقاد الجرائد كيف صنع جميل حين أراد أن يأتى بشيء جديد من معاني الشعر
في طرب العود ونحوه وتأثير هذه الآلات في مجلس الراح وهو يذكر نديمه عليها بعد
أن طرب وشرب. قال

فلما مات من طرب وسكر رددت حياته بالمسمعات

فقام يجر عطفه خمارا وكان قريب عهد بالمئات

جعل العود (ينطق بأحسن من وقع القطر في البلد القفر) وجعل فيه حياة من
الموت الذى فى الخرف كأن فى مجلسه ما يحي ويميت. هكذا فاصنع ايها الخمار الذى لا يتلف
فى مجلس الطرب الا على عشب أثيث وأمواء ، دون الريحان وأنواع الزهر واصناف
الطيب وبجالي الروض ومعارضه المختلفة الخ الخ

(يدور بها الساقى علينا كأنها مباسم ثغر والحباب ثناياه)

ان اراد بالمباسم جمع مبسم مصدرا أى الابتسام فلا معنى للتشبيه لان الخمر ذات
الحباب لا تكون بيضاء . فان اراد جمع مبسم أى مكان الابتسام يريد به الشفتين
الخراوين فكم مبسما للثغرياترى : ؟ لعلها مباسم زنجية من أسوان لها شفتان غليظتان
كشفرى البعير، ويكون تقدير العقاد ان هاتين الشفتين لو قسمتا شفاها رقيقة لكانتا
عشرين أو ثلاثين، ومن ثم يكون لهذا الثغر الواحد (مباسم) على هذا التأويل ...
وهذا البيت سرقة القعاد من شوقي فى قصيدته المشهورة (حف كأسها الحبيب) من قوله

أو فم الحبيب جلا عن جمائه الشنب

ومع ان طبعي أنا لا يسىغ مثل هذه التشبيهات ويراهها كلها فساداً فى الفروق ،
فانى أرى فى بيت شوقى دقة غفل عنها العقاد لانه جاهل بالعربية ليست له قريحة
بيانىة البتة . فليس فى كتابته ولا شعره إلا الخبط لبط ... شوقى يقيد الفم بانه فم
الحبيب ، والعقاد أراد مطلق ثغر يعنى ولو ثغر شواء فواء ... ثم شوقى
يذكر فم الحبيب والثنايا والريق وهذا كله حلو حلو جميل جميل ويضيف الى
ذلك كله كلمة (جلا) وهى وحدها شعر فى ذكرها مع ثنايا الحبيب . والعقاد
غفل مغفل ليس فى شعره الا ثغر نكرة - بدليل التوين - وبثاياه كيفما كانت ولو
كانت مصابة بالقلح و . . . قبحه الله من شاعر سخيىف ، كادت والله نفسى تثب
الى خلقى . . . وما معنى القىء من شعر هذا العقاد إلا انى تذكرت الآن هذين
البيتين فى ثغر الحبيب ودره وعقيقه ولا أدرى لمن هما ، ولكنهما من شعر المتأخرين
الجامدين فى رأى المجددين المغفلين

يا در ثغر الحبيب من نظمك ومن يختم العقيق قد ختمك

أصبح من قد رآك مبتسماً يميل شكراً فكيف من لثمك ؟

تحتاج يا عقاد أن تخلق مرة أخرى من أب آخر . . . لتستطيع أن تقول مثل هذا .
ونعود الى تشبيه الحباب بثنايا (الحبيب) الحبيب خاصة - فأصله أنهم شبهوا الحباب
باللؤلؤ وهذا جيد مستقيم على طريقة الوصف ومنه قول النواس « حصباء در على
أرض من الذهب » وكثير غيره

ثم لما كانت أسنان الحبيب تشبه باللؤلؤ جعلوها كالأصل ونقلوا التشبيه اليها توليدا
اتساعا فى فنون البيان ومن ذلك قول البحترى يصف الخمر :

وفى القهوة أشكال من الساقى وألوان

حباب مثل ما يضحك عنه وهو جذلان

وسكر مثل ما أسكر بطرف منه وسمان

ثم تنبهوا من ذلك الى مراعاة النظر والمقابلة فجمعوا فى التشبيه كقول ابن وكيع :

حملت كفه الى شفثيه كأسه والظلام مرخى الازار

فالتقى لؤلؤ الحباب وثرغ وعقيقان من فم وعقار

وابدع ابن النيه وجاء بالمعنى سائغا عذبا في قوله :

فأنهض الى ذوب يا قوت لها حبيب تنوب عن ثغر من تهوى جواهره
ومن هنا أخذ شوقي فجمع في التشبيه كما رأيت ، وعلى شوقي تطفل العقاد ،
والتفنن في وصف الحب كثير ولكننا أردنا بما ذكرناه تاريخ المعنى الذي (هببه)
هذا العقاد

(جرت في صفاء الدمع وهي دواءه فمن ذاقها لم تجر بالدمع عيناه)
سرقه من قول ابن المعتز مع غفلة من أقبح غفلات العقاد . يقول ابن المعتز
ورواه الثعالبي لأبي نواس :

وليس اللهم الا شرب صافية كأنها دمة من عين مهجور
فقيد الدمع بأنه من عين مهجور ، وصاحب مر حاضه ، أطلق فجعلها ككل دمع
وان كان دمع مصاب بالرمد الصديدي قبح الله هذا الاحق لا يزال شعره
كالملح الانجليزي أوزيت الخروع . ثم انظر واعجب من غباوة العقاد فقد فهم
من بيت ابن المعتز أنه يشبه الخمر في صفائها بالدمع فسرق على هذا الفهم وهذا تشبيهه
صبيان لا تشبيه مثل ابن المعتز وانما أراد هذا أنها صافية حمراء كدمعة المهجور حين
يبكى دماً لا حين يبكي دمعاً . أفهمت يا عقاد . ألا تقر أنك في حاجة الى أن تكون
تليذاً لا ديب ، ثم بعد ذلك عسى أن تكون أديبا في يوم ما . . ؟

وتأمل ما يشعر بك قول ابن المعتز (كأنها دمة من عين مهجور) وما يثير في نفسك من رقة
العاطفة وتحزنها واحتياجها الخ وهذا كله خلاصته بيت العقاد فجاء قشرا لا لب فيه
وزعمه أنها دواء الدمع مضحك لان ابن المعتز جعلها دواء الهم وليس كل هم يحى .
بالدمع الا ان كان هم امرأة تبكي لسكل شيء وليس كذلك الرجل . وما دامت الخمر
دواء الدمع ، فينبغي أن يكون من أسمائها عند المجدين (ششم وقطرة)
ومحلول بوريك وسليمانى . ألا لعن الله هذا التجديد وأهله ان كانوا من هذا الطراز
انظر كيف يكون الشعر في وصف الخمر على أنها دواء الدمع في قول السرى أو
السلامى لا أدري :

بتنا نكفكف بالكسات أدمعنا كائناتنا في حجور الروض أيتام

هكذا والافاسكت ويحك

(تنير فلولا ان يسيل رحيقها تلت لظى اذكى النسيم شظاياها)
 يريد فلولا ان سال رحيقها فاستعمل (يسيل) بصيغة المضارع خطأ لانه لا يفهم
 منه هذا التركيب الا أنه لا يقول إنها لظى خشية أن يسيل رحيقها . والمعنى مسروق
 من قول مسلم بن الوليد

وكانها والماء يطلب حلها لهب تلاطمه الصبا في مقبس

الصبا نسيم الصبا فقال العقاد لولا أنها ماء لقلت أنها لهب ولم يحسن أن يقول
 مثل هذه العبارة البديعة (تلاطمه الصبا) فقال أذكى النسيم شظاياها ... الاذكاء
 معناه الزيادة تقول أذكى النار أى زدها وقودا فكيف يكون الاذكاء لشظايا النار
 أى الشعل المتطايرة منها دون النار نفسها ؟ هذا فهم مقلوب والظاهر أن مغفلنا الكبير
 فهم من معنى أذكى ضرب وفرق ونحوهما

تأمل بيت مسلم وانظر الدقة العجيبة فى جعله الماء يطلب حلها حين يمتزج بها
 وهى فى نفسها لهب يتلاطم مع نسيم الصبا ثم قابل هذه الصياغة بصياغة مغفلنا
 (يكاد اذا طاف الغلام بجامها يرفرف حولها الفراش ويغشاه)

جعل مجلس الراح فى غيط قطن عند (العشب الاثيث) حيث يوجد الفراش
 المنسلخ من دودة القطن . وهذا البيت يذكّر بالذباب وتهافتة على كأس الشراب
 لان الفراش والذباب سواء غير أن الاول يتهافت على الضوء (١) والمعنى بعد مسلوخ
 من قول مسلم :

(١) لا تنسى أن الفراش لا يتهافت على الضوء الا ليلا وقصيدة العقاد ليس فيها
 ما يدل على أن مجلسه كان بليل ولا بسحرة فهذه احدى غفلاته . ثم إن الشعراء قد
 أثيروا فى تشبيه الراح بالنار حتى بالنار التى تشب ليسرى الضالون فى الليل على ضوءها
 فيهدتوا بها الى القرى والضيافة والعمران . كما شبهوها بالمصابيح والهب وشعرهم
 كثير فى هذه المعانى وكلهم كانوا يعلمون طبيعة الفراش ومع ذلك لم يذكروا أحد منهم
 هذا المعنى فيما وقفنا عليه لان لهم ذوقا وبصرا وليس يغيب عنهم أن الكأس التى
 يرفرف حولها الفراش ويغشاه ، هى أخت الكأس التى يقع فيها الذباب لان

كان نارا بها محرسة نها بها تارة ونغشاها
 شبهها بالنار المحركة التي زادت وقودا فيرتد عنها المصطفى تارة ويدنو منها تارة،
 فخطر للعقاد أنه لو كان الناس فراشا لكان المعنى أحسن فمسخهم فراشا .
 ولكن انظر كيف يقول الشاعر الحقيقي في مثل معنى العقاد حين يصنع الصنعة
 البارة التي لا تذكر النفس الا بالصور العالية الشريفة فيقول في وجه ممدوحه
 ذو غرة كجبين الشمس لو برقت في صفحة الليل للحرباء لا تنصبا (١)
 ويقول « صاحب مرحاضه » ...

(لها في يمين الشاريين توهج اذا ما خبا قلب من الحزن اذكاه)
 لماذا جعلها في اليمين خاصة مع أن أهلها يتناولون باليمين واليسار؟ ثم هذا المعنى
 كثير ولكن الشعر كل الشعر في تعليله وكيفية وضعه وبيت العقاد من قول
 مسلم بن الوليد

تلهب الكف من تلهبها وتحسر العين ان تقصاها
 قال الكف ولم يقل (اليمين) ثم هي مادامت نارا أو شعاعا محرقا فيكون أثر
 توهجها في الكف لافي القلب . ولكن لعل العقاد سرق فيما يسرق سالكا مده من
 يمين حاملها الى قلبه فانتقلت الحرارة عليه . . . ومسلم يزيد في بيته ان العين تحسر
 عن تقصيصها كما تحسر عن الشعاع في شمس . وانظر كيف يتظرف الشاعر في ذكر توهج
 الراح وتلهبها على يد الساقى الجميل اذ يقول :

لا تترك القدح الملائن في يده إني أخاف عليه من تلهبه
 وقول العقاد (إذا ما خبا قلب من الحزن اذكاه) من أبرد الكلام وأسخفه

الفراش لا يرتد عن الضوء دون أن يخالطه ويقع فيه . وذكر الفراش على الكأس في
 مجلس الشراب لا يكون الا من عامى سوقي بارد الطبع ساقط الحرمة . فأنت ترى أنه
 ان كان العقاد هو الذي جاء بهذا المعنى فكلام الشعراء جميعا دليل على فساد ذوقه
 وعامية طبعه وان كان سرقة بنصه فهذه أدهى وأمر لانها لصورية وفساد ذوق
 (١) الحرباء دائما يطلب الشمس ويتقلب معها وهو يطلب معاشه بالليل فاذا
 طلعت الشمس اشتغل بها

لان أذكاه معناه أضرمه وهيجه وما الحزن الا تسعير القلب ونعوذ بالله . وقد
قال ابو فراس

إذا ما برد القلب فما تسخنه النار

ويقول « صاحب مرحاضه » ...

(تلوح كآء المهل أما مذاقها فن سلسيل الخلد في طيب سقياه)

قال في الشرح ماء المهل شراب أهل جهنم فتأمل هذا الذوق ونعوذ بالله
ثم نعوذ بالله .

وهذا المغفل قد نسي من أول بيت في قصيدته انها « الخمر الالهية » ، وأنه يقول
« على طريقة ابن الفارض ، فذهب يسرق في كل بيت بمن لم يقولوا على هذه الطريقة
ولاحرفا واحدا كما رأيت . وهل الخمر الالهية « تلوح كشراب أهل جهنم » ؟ أخزأك
الله (يا صاحب مرحاضه) وجعل المهل شرابك ، كما جعلت المرحاض ثيابك

وقوله (مذاقها) ثم قوله (في طيب سقياه) من الكلام الذي لا يلتئم لان المذاق
في اللسان وحده فالصواب مذاقها في طيب طعمه ، وبين الطعم والسقيان البعد ما بين
العقاد والشعر . هذا نصف القصيدة ، وكل ما مر بك في اثني عشر بيتا فقط من شعر
(صاحب مرحاضه) فكيف يرى الناس الآن قيمة (صاحب مرحاضه) ؟



أطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع الخليج المصرى : بالظاهر بمصر

الاستشراف

أقوم بمبحث في حقيقة الاشتراكية ومناقشة مبادئها

البابية والبهائية

عالج الاستاذ عمر عنايت افندى موضوع البابية في مجلة العصور الغراء وادمج فيه الكلام عن البهائية بدون أن يتحرى فيه الحقيقة ولا أن يسترشد بما كتبه السابقون من المؤرخين المنصفين بل اختط لنفسه خطة لم يسبقه اليها أحد فصور البهائية للقارىء بأنها خليط من الآثار الفلسفية والدينية والدولية والشيخية والباطنية والمعتزلة على اختلاف نزعاتها ومراميهما وان برنامج البهائية في نظره عبارة عن اتويا (كلمة افرنكية عبر عنها للدلالة على أن تحقيق تلك المبادئ مستحيل وأصلها بمعنى الجزيرة الخيالية) وباليته اقتصر على ذلك بل ادبها اغاليط وحشاها افتراآت وأخذ يتخبط خبط عشواء فجعل يكرر في أقواله لفظ لا أدري ما أقول لك ولفظة انى أجهل وما كان اغناه عن أن يكتب في موضوع لا يدري فيه ما يقوله ولم يطلع على معلومات موثوق بها

ان كنت لا تدري فتلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

ولقد كان الأحرى به ان ينظر فيما كتبه من سبقه من العلماء والادباء والمؤرخين المنصفين وأن يسأل عن ذلك من نفس البهائيين المقيمين في كل مكان وباليته اقتصر على سرد الافتراآت العجيبة بل شحن كتاباته بالسخرية والاستهزاء الذى هو سلاح العاجز عن البرهان فادعى أن كتاب الاقدس رطانة بين العربية والاجمية مع ما هو مشهود له من الفصاحة والبلاغة التى لم يبلغ شأوها الا ولون ولن يبلغها الآخرون وما مثله فى ذلك الا كمثل مشركى الاعراب حيث قالوا عن القرآن الكريم (ولو شئنا لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الاولين) بعد ما شهد الكتاب لنفسه بنفسه بانه لو اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثله لن يقدروا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا والا عجب من ذلك قول حضرة الكاتب ان كتابات حضرة عبد البهاء قد نجلت فى نظره بصور مضحكة مع انها باعتراف العظماء انفس ما كتب فى الوجود من الغيب والشهود

أمور تضحك البسطاء منها ويكي من عواقبها اليب

فان كانت الدعوة الى السلام العام وبند التعصبات واتحاد الاديان تضحك فانه لا يضحك منها النبلاء الذين يجلونها ويحترمونها ويقدمونها وان عادة الضحك على

الرسائل الالهية والكتب السماوية وعلى المؤمنين لم تكن خاصة بهذا الزمان بل كانت موجودة في عصر كل ظهور جديد فقد كان المنكرون من الاعراب يضحكون على المؤمنين قال تعالى (ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون) فهذه عادتهم ودينتهم وأما كتابات حضرة عبد البهاء فكانت أعجوبة العصر كما شهد بذلك عقلاء القوم فانظر ماذا كتبه الامير شكيب ارسلان في كتاب حاضر الاسلام وهو مطبوع في مصر قال عن حضرة عبد البهاء (كان آية من آيات الله بما جمع فيه من معاني النبالة ومنازع الأصالة والمناقب العديدة التي قل أن ينال منها أحد مناله أو يبلغ فيها كماله — الى ان يقول — وأقواله فصل الخطاب وكتاباته الديباج المحبر وفصوله الوشى المنمنم يفيض بيانه بجوامع الكلم وتسيل عارضته سيل عارض منسجم ويود اللبيب لو أقام العمر بمجلسه يخفى من زهر آدابه البارع ويرد من منهل حكيمته الطيبة المشارع — الى ان يقول — وبلغ من قوة الحجة واصالة الرأي وبعد النظر الغاية التي تقضى دونها المني حتى لو قال الانسان انه كان أعجوبة عصره ونادرة دهره لما كان مبالغا ولو حكم بأنه من الافذاذ الذين قلما يلدهم الدهر الا في الحقب الطوال لكان قوله سائغا — الى ان يقول — وكان احسن الله منقلبه مستوفيا شروط الرياسة ذا وقار في رسوخ الجبال ومهابة يقف عندها الرئبال وحشمة لا ترى الا في الملوك — الى ان يقول — وكانت رسائله على كثرتها تتلى وتؤثر وتحفظ حفظ النفائس في الخزائن وتدخر — الى آخر ما ذكره من المدح والاطراء الشديد

ولنسرده ايضا للناقد ما ذكره الامير محمد علي باشا في رحلته الى بلاد امريكا (وكتابه في ذلك مطبوع في مصر) مما شاهدته بنفسه من تأثير خطابات حضرة عبد البهاء في امريكا قال في صحيفة ٤١٤ بعد مدح (اما خطاباته الكثيرة المؤثرة فانها أخذت دورا عظيما في امريكا وكانت اذ ذاك حديث الجرائد ينشرونها ويعلقون عليها آراء علمائهم الدينيين وبالجمله فقد توصل باقتداره الى بلوغ الدرجة التي يحسده عليها الحاسدون فقد مكثت معه زمنا احادثه ويحادثني فيطربني بلذيد كلامه ثم انصرفت من عنده وانا احفظ له في قلبي المودة والاحترام)

ويكفي هذا شاهدان وما نطقاه من الحق والصواب وانهما من الامراء وليس

من السوق ولعل الناقد لا يعود بعد ان يسمع عنهما ما تقدم فيدعى بأن مبادئ البهائية هي آراء رجل فهم الانظمة الاجتماعية فهما سقيما

فكم من عائب قولا صحيحا وآفته من الفهم السقيم

فن يستمع التغنيات البهائية وألحانها المطربة وهو ساه عن ملاحظتها وصباحتها فلا يلوم من الا نفسه حيث لم يقدر أن يبلغ شأؤها ولم ينل سعيها ومهما أراد أن ينقص من قدرها لن يقدر أبدا أن يطفئ ذلك النور الالهى الذى أشرقت به الارض والسماء فلن تبلى على كثرة الرد وانها لأرفع منزلة من الشمس واعز عما خلق للحين في السموات والارضين

ومن سمع الغناء بغير قلب ولم يطرب فلا يلم المعنى

هذا كتاب الله العزيز مع ما فيه من الهداية كان في نظر المنكرين عبارة عن أساطير الاولين (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين)

ولو شئنا أن نعدد أغلاط الناقد كالكقول بأن الشيخ الاحسائي كان من تلاميذ الباب وغيرها لما خلت منها عبارة أو جملة وأما الفاظ السباب والافتراءات فلنضرب صفحا عنها ولنمر عليها امر الكرام فان اقلام العقلاء تنوح عند ذكر هذه السخافات وتأتوه من ترديدها أو ذكرها فكم نعت الناس قديما وسلمهم وأنبياءهم بمثل ما ينعت به الناقد حضرتنا بهاء الله والباب قال تعالى عن لسان المنكرين (اتاركوا نحن آلهتنا لشاعر مجنون) ومن هذه الآية يعلم أن المنكرين كانوا يصفون سيد الوجود بصفات الجنون (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره المشركون) أما كلامه عن عدد البهائيين في العالم بنوع من الاستهزاء أو التهكم دليل على التغيظ مما هو مشاع عن ازدياد عددهم ازديادا مطردا فان الذين يبحثون عن الكثرة ليسوا من البهائيين بل هم الاغيار الذين يدنون مشاهداتهم وقد كتب الامير شكيب ماشاهده من أن عدد البهائيين في مدينة استوتجارد في المانيا ينوف عن أربعة آلاف حسبا عليه من فصل النرويج ومع ذلك فالكثرة والقلة ليست مقياسا للحقية ولا داعيا للتعبير تعيرنا أنا قليل عديدنا فقلت لها إن الكرام قليل

أما قوله بأن البهائيين يستدلون في كتبهم ورسائلهم باراء اعظم الكتاب ويروون أقوالا

عن القضاة والوزراء والملوك والأمراء بما لا يمكن تحقيقها ولا معرفة مبلغه من الصحة فراجع إلى عدم الرغبة في الفحص عن الأمور لأن الاستدلال بما في الكتب المطبوعة يسهل تحقيقه بالرجوع إلى هذه الكتب وتطبيقها فلا يحتاج إلى دليل بل هو امر في غاية الوضوح وليس يصح في الاذهان شيء . * اذا احتاج النهار إلى دليل

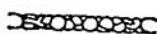
ومع ذلك فليس فخر البهائية بمن تبعها من العظماء والقضاة والأمراء والفلاسفة أو الملوك بل إن زفخر هؤلاء باتباعهم للطريقة المثلى وتمسكهم بالعروة الوثقى وهم الذين يدونون بانفسهم مقالات المدح والاطراء في التعاليم البهائية في الكتب والمجلات فهذه ملكة رومانيا تكتب المقالات العديدة في الجرائد السيارة تحت قومها على التمسك بالبهائية وهي تفخر بها وقد كتبت في سنة ١٩٢٦ ثلاث مقالات تحت امضائها نشرت الاولى في جريدة تور تود ايلي ستارواشنجنطن هرالد والثانية في تور توستار والثالثة في نشرة المساء لفيلادلفيا قالت في الاولى : وعند ما فتحت الكتاب (عبد البهاء) وجدت فيه بيانات عبد البهاء رسول المحبة والوثام وتعاليم والده الداعي إلى السلام وحسن التفاهم بين الانام وبالاختصار عن دين يرمى إلى توحيد كل العقائد والاديان إلى أن تقول — (يا جمال تلك الرسالة التي جاءنا بها بهاء الله وابنه عبد البهاء اللذان لم يشاها عنوة واقداراً لعلهما ان بذور الحقيقة السرمدية الكامنة في تعاليمهما لا بد وان تتاصل في النفوس وتمكن في الافئدة والقلوب وتنتشر في كل الآفاق — إلى أن تقول — إني أوصيكم جميعاً اذا طرق سمعكم اسم بهاء الله أو عبد البهاء الا تنبذوا تعاليمهما وراء ظهوركم بل ابحثوا كتبهما واجعلوا كلماتهما الحاملة للسلام والفاضة بالمحبة والمفعمة بالعظائم تنفذ إلى أعماق قلوبكم كما نفذت إلى أعماق قلبي واستقرت في صميم فؤادي) وفي رسالتها الثالثة اعترفت وأقرت صراحة برسالة جميع الأنبياء بما فيهم حضرة الرسول الكريم قالت (لهذا ظهر الأنبياء ومن اجل هذا قام المسيح ومحمد بهاء الله) فعمت الرسالة رسالة حضرة بهاء الله فهي التي تقرب وجهة النظر بين الشرق والغرب حتى إن الملوك ابتدأوا يعترفون انها الترياق الشافي للأمراض المستولية على العالم وأن اتحاد من على الأرض منوط باتباع أوامرها وللمسكون رومانيا الفضل بانها أول من آمنت منهم واعترفت بعظمة الامر وسلطانه

أما قول الناقد بأن آراء البهائية آخذة كل يوم في التطور فراجع أيضا إلى عدم

الاطلاع الكافي فان المبادئ البهائية باجمعها تأسست بمعرفة حضرة بهاء الله وهو في السجن
 الأعظم وقام على ترويجها حضرة عبد البهاء وعلى حفظها وصياتها حضرة ولي أمر الله
 وأما ما ذكره من مشكلات حل الأوقاف وطرده الصهيونيين إلى آخر ما أورده
 فهذه هي أمانه ولا دخل للبهائية التي جلّت خطراً أن تهتم بأمثالها (وما من نبي
 الا اذا تمني القى الشيطان في امنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته) وفي
 الختام يكفي أن نوجه نظر حضرة الكاتب إلى أن كل من يقرأ عبارته يشم منها رائحة
 التعصب الذميمة خصوصاً ما تحتوي عليه من الفاظ الشتم والاستهزاء وكثرة الافة وآت والسلام
 وارجو من عقلاء الملة أن لا يتعجلوا في الحكم على هذا الامر العظيم الذي اهتزله
 العالم شرقاً وغرباً وان لا يعرضوا عن هذا النبأ الكريم قال تعالى (قل هو نبأ عظيم انتم
 عنه معرضون) وستعلمون ان هذا الامر سيطلق صيته عن قريب الخافقين
 وبواسطته يتم اتحاد الشرق والغرب واتفاق الاديان والاجناس وزوال الحروب
 المهلكة والتعصبات المدمرة ويأتي يوم السلام العام وليس ذلك من قبيل الاتوبيا كما
 يراه الناقد بل إن اتفاق البهائيين من كل الملل والاديان في جميع بقاع الارض اعظم دليل
 على تحقق الغرض المطلوب فعلا ففى مجالس البهائيين لا يمكن تمييز المسلم من المسيحي
 من الزردشتي من البراهمي من اليهودي قد اتحد الكل قلباً وقالبا اخواناً على سرر
 متقابلين وقالوا سلاماً

عبد الجليل سعد

القاضي بالمحاكم الاهلية



اطلب من دار العصور للطبع والنشر

ومن جميع المكاتب المعروفة

مَعْصِيَةُ الْمَلِكِ نَبِيِّ الْحَيَاةِ

وعدة ومقالات أخرى

بقلم

اسماعيل مظهر

سَيِّطَانُ بَنْدُورٍ

المحادثة الخامسة

قال الهدهد: كان الغد وجاء الأصيل؛ وآن الموعد، فاعملت جناحي استقبل منفيس. فلما وصلتها قصدت دار العلم والفلسفة فيها، فدخلتها فرأيت الطلبة يخرجون من الدرس، وكانوا يستعدون له بالامس. وقد أحاطت عصبة منهم بالنسر يماشونه ويلقون عليه الاسئلة شتى يأخذون من بحر علمه وروضة ييانه. فاشرفت على حلقتهم أخطف السمع فسمعت أحدهم يقول للاستاذ ما هي الفضيلة يا مولاي؟ قال ترك الرذيلة. قال وما الرذيلة؟ قال هي جاران في دار الجهل، والبطالة في الشباب. وسأله آخر علمتنا يا مولاي أن الراحة والسعادة كليهما في العمل فدلني على عمل المسهما فيه. قال ابن من أنت؟ قال ابن نجار في المدينة. قال عليك بمنشار أريك فان فيه الراحة والسعادة. وسأله ثالث بماذا تشقى هذه البلاد وبماذا تسعد يا مولاي؟ قال بالنيل والثور والمحراث. وألقى عليه رابع هذا السؤال: من العالم يا مولاي ومن الحكيم ومن الطبيب؟ قال العالم من لا ينام، والحكيم من لا يطعم، والطبيب من لا يموت. قال هذا هو المستحيل يا مولاي فما تريد بهذه المبالغة؟ قال أردت أن العالم من علم بالنهار وتعلم بالليل، والحكيم من زهد في هذه الدنيا وقع منها بكسرة، والطبيب من ترك طباً يعيش به الناس بعد موته. وسأله تليذ آخر ما هي الفلسفة يا مولاي؟ قال هي احتقار الدنيا ورحمة الناس. قال وما فضلها؟ قال تحول دون الهوى والغضب وكلا هذين مذلة. وقال: وكيف تؤخذ يا مولاي؟ قال توجد في الطباع ولا تؤخذ من الرقاق. قال الهدهد. ثم أشار للنسر الى الطلبة أن ينفضوا من حوله ففعلوا إلا اثنين من خاصة تلاميذه ظلل يماشيانه وأنا أطير حيث يسرون حتى أخذوا إلى المدينة، وعندئذ رفعت فصرت فوق كتف الاستاذ فلم يقف ولم يلتفت. لكن سمعته يقول لصاحبه من فاته درسي لا تفوته صحبتي ومن صحبتني فليصبر معي.

ليس للعلم وطن ولا للحكمة دار . بل العاقل من له على كل أرض مدرسة وعلى كل طريق أستاذ . والمدرسة تقوم العقل في طريق العلم ولا تتكفل بوصوله كالمعيد بمد السريرة في الاعتقاد ، ولا يتكفل لها بكشف الغطاء . فرب عابد من نفسه وصل ، ومتعلم من نفسه حصل . عرفت صنوف العلم فلم أركأ لفلسفة يأخذها المرء من نفسه ، ثم من حيث التفت فرأى . وكلما قيل له فسمع من حديث المتكلم إن صدقا وإن كذبا وصوت الصامت أن بكلمة وإن بكما . ونعيم المنعم ويؤس البئيس ومشية المستكبر وهذيان المموش وعردة السكران من النحل في مشاغلها والنحل في معاملها والذر في مستناره والبرق في مستطاره والزهر اقباله وادباره والفلك ليله ونهاره والبحر مضطربه وقراره . ومن النفس اذا اعتلت واذا صحت واذا طمعت واذا قنعت واذا رغبت واذا تسلت واذا حشأت واذا اطمأنت واذا شكرت واذا اجحدت ومن الطباع اذا امتحنت والسرائر اذا بليت والاهواء اذا اختبرت . مدارس لا يفرغ اللبيب منها . ودروس لا يصبر الحكيم عنها . قال الهدهد ففهمت أن النسر يعتذر وأنه ينهي عن الكلام ويأمر بالسكوت فامتثلت ولم أنبس . ثم سرنا فررنا في طريقنا على دار تشيد ويبالغ فيها ويوشك بنيانها أن يتم من زحمة الأيدي عليه . وكأن ربها عندها بين غلباته وأعوانه وكان الأستاذ يعرفه فاقترب منه وحياه . فخطبه النسر قائلا لمن هذا القبر أيها السيد . قال هذا قصر يا مولاي لا قبر . قال وجدنا آباءنا يؤبدون القبور لا الدور لأنهم مواطن القزار ومنازلنا جميعا معاشر السفار . فعلام تظلم ستمهم ولا تسير في الحكمة سيرتهم . قال اني واهبها للملك ولا يوهب له الا ما يليق به . قال إن الملك في غنوة عن مثلها ولو كان ممن يطمحون الى ما تملك أيدي الرعاية أو يفرحون بما يزلف لهم من ثمين الهدايا لما ساد الامم ولا اعتر ولا احتكم . إنه ليحجى اليه من أقاصى البلاد ويدخل في خزائنه من كرائم المال ما لو جعل بعضه فوق بعض لطاول الجبال . وأنه لأحرى بك أيها السيد أن تهدم هذا الصرح من أساسه ، ثم تجود على كل فقير يتضور جوعا بطوبة من انقاضه ، يشد بها على لحم بطنه لتخفف عنه من ألم الجوع . ثم ودعه وسار فازلنا نذهب في المذاهب ، والنسر دليلنا حتى اتينا الى دار حقيرة البنيان عندها صبيان يلعبان . فقصد الأستاذ قصدهما ودعاهما اليه وقبلهما فوق جبينيهما ثم قال

يخاطبهما وعينه تفيضان من الدمع كان ابو كما رجل صدق، وكان وفيًا فلتجزئته السماء فيكما . ثم التفت الى صاحبيه وقال ألا أنبئكما من مالك هذا البيت الزرى ؟ قالوا بلى قال ذاك الذى يبنى قصرًا ليهديه الى الملك وهو لا يسامح تلك الارملة ولا هذين اليتيمين فى أجرة شهر واحد . فما أظلمه وما أظلم الملك يوم يقبل هديته ، وما أظلم الحياة وما أظلم الناس . ثم ودعهما الاستاذ وانطلق يمشى ونحن نتبعه حتى دخل فى طريق ضيقة فاندفع فيها حتى أتى عليها وكان فى آخرها منزل فوقف به ثم دق الباب فخرج اليه رجل وقور يدل تجميد وجهه على تقدم ميلاده ، فحياه النسر فرد التحية فسأله ماصنع الملك باليتيمين وأمهما قال رأف بهم وأمران يجرى لهم رزق من الخزانة الملكية قال خير أفعّل والخير سجية فيه فعد الى أهلِكَ فقد اطمأن قلبي ثم تركه واستمر فى سيره والفتيان يماشيانه وقد سأله أحدهما من الرجل يا مولاي قال للملك جواسيس يتخذهم لا على رعيته وعلى صحابته ، لكن على المتعطفين من الفقراء ، وعلى الارامل والأيتام يدلونه عليهم لينظر فى أمرهم . وهذا الرجل من أدلاء الملك على الخير ولا أجر له على ذلك غير رضى نفسه ، وطلب الهدو لها فى فى رسمه هذا ما يفعله رمسيس وملك الدنيا له ؛ وأمر تديرها بيده ، مبارك له فى فى الآل والحال والرعية والسلطان وليأتين يوم يتخذ الملوك جواسيس على الارملة واليتيم ليسلبوها شبر أرض أو جدار منزل ، فأولئك ملكهم فى دمار وتاريخهم فى سجل من عار ثم عطف الاستاذ على حانة خمار فدخل فتخلف الفتان فأبى إلا أن يتبعاه وهناك جلسنا فى ناحية وطلب النسر شيئا من الخمر له ولتليذيه وكان ازاءنا ثلاثة فتان ترى عليهم دلائل النسب والحسب ، وكانما عرفوا الاستاذ فاحتال أحدهم حتى تسلل وانصرف وتحول الثانى إلى زاوية فانكش فيها ، ولبت الثالث كما وجدناه ثابتا لا يتحرك ، فالتفت النسر الى أحد الصاحبين وسأله قائلا أعرفت هؤلاء يابنى ؟ قال هم يا مولاي بنو صديقك القائد فلان قال هم بعينهم يترددون الى هذا المكان وقد علموا الدهم بذلك فتشبت بى أن أئداركم بالنصح والخبر فى رقيم ، قبل أن يصبحوا فى رقها فكيف وجدتهم يابنى ؟ قال أما الأول يا مولاي فيخجل من نفسه ، وأما هذا المنكش المستتر فيخجل من الناس ، وأما هذا الثالث المتهتك فلا يخجل من نفسه ولا من الناس قال أصبت يابنى تم اقبل على رفيقه وسأله وكيف رأيك فيهم

أنت يابني؟ قال أرى يامولاي أن يوكل الاول لنفسه لأنها سوف تزجره ، وأن ينصح للثاني لأن المقالة تنجح فيه ، وأن ينعي هذا الثالث الى أبيه. فضحك الاستاذ من جوابه وحكم بصوابه . ثم التفت الى ذلك الفتى المنكمش وناداه مالك يا ابن الأخ لاتكون رابعنا . قال ان أذن مولاي فعلت . ثم خف اليها فجلس معنا فحياه الأستاذ ولاطفه ثم خاطبه فقال . ما أطيب الخمر يابني . قال اطيب منها يامولاي هذا الثناء عليها منك . قال كيف تجدها . قال فيها لطف وهي محرقة قال كذلك الشرارة لطيفة المتقد ، وقد تضرم ناراً على بلد قال وانها لتدب خفية ضعيفة ثم تتمكن ظاهره قوية . قال وهكذا الداء

قال وإن الجسم ليستريح معها وتخرج النفس من عالم الهموم ، الى عالم موهوم . قال خير لشاربها إذا أن ينتحر ، فالراحة كل الراحة في الموت . قال وإنما يا مولاي لعادة والنفس بما اعتادت منقادة قال الآن صرحت فأنت كان ولا بد فخذ منها الطربك ولا تعطيتها من عقلك وأدبك ، واتخذ منها صحة ولا تتخذ منها فرضا ، واشربها مع حكيم ، يقول لها قفى ، وخذها في مجالس الكرام ، فهناك أوائلها طرب ، وعواقبها أدب . قال أأنت يا مولاي فنجحت ولو أفلحت لما أفلحت ، فلا يكونن الا ما نصحت . قال بقيت يا بني في النفس حاجة أن أباك أشفق من السفهاء أن يمدوك وأخوينك في الغر فسلطني عليكم ، فاما ذاك الذي استحى فله نفس تزجره وهي حسبه وأما أنت فقد رأيت من عقلك ما يطمئن به قلبي ، وأما هذا الذي يشربها جهراً ويلحظ اللائمين فيها شزراً ، فالحيلة فيه قليلة ، والنصيحة معه مستحيلة . فاذا لقيت أباك ، فتب من تلقاء نفسك اليه ، واكفى شبهة المن عليه بهداية ولديه قال أمرت بمثلاً يا مولاي فودعه الاستاذ ونهض وصاحبه على أثره

قال الهدهد : فلما خرجنا من الحانة رأينا الناس يزدهجون على بابها ، والتفت الى النسر فرأيت الغيظ على وجهه ، وسمعتة يقول لصاحبيه ما أولع الناس بالناس ، يشتغل أحدهم بشئون أخيه ، وفي أيسر شأنه ما يلبيه

علم الملا أن بتوور دخل هذه الحانة فاجتمعوا ينظرون كيف خروجه . فلاستقبلن جمعهم ولاخطبن فيهم ثم فعل فقال أيها الناس الماس فوق التراب ماس ، والخزف خزف ولو حمل على الراس . أما والآلهة في معابدهم ، وآباء الملك في مراقدهم ، لرب صادر عن هذا المنزل . أظهر من خارج من هيكل

أيها الناس من زل منكم فليستتر، ومن رأى زلة فليعتبر. من علم على أخيه
فليصح له همسا، وليرحمه في نفسه، وليدع له في صلاته. أيها الناس ثلاثة تعرض
ولا يأمنها أحداً: المرض والمصيبة والغواية. وما شكر أحدكم الآلهة على الخلاص منها،
بأفضل من رحمة الواقين فيها

رأيتم من السفاهة والمجانة، أن يلج شيخ هذه الحانة. فاجتمعتم ولو عقلمتم لما فعلتم.
إن للعقل كما للقدم زلة، وأن للحليم كما للجاهل ضلة. وإن النفس مع الهوى مائلة، والعقل
من اذا مال مع النفس اعتدل. أيها القوم إن ملككم لكبير وان عددكم لكثير. أمركم نأفد في
المشرق، وسيفكم في كل مفرق، وعداكم يسرون، وحسادكم يسعون. فاستبقوا نفوسكم
وهذبوها، وحافظوا على ابدانكم وربوها وأعدوها ليوم تدعوكم الأوطان لتقربوها.
لا تعطوا الغواية أزمتمكم فتسلب منكم ذكاءكم وهمتكم، ودخل الرعاة بلادكم في
شبيبة الدهر، فأفسدوا فيها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكان آباؤكم على اخلاقهم القديمة
يأخذون الفضيلة ويذرون الرذيلة، صحاح العقول صحاح النفوس صحاح الابدان.
فاستجمعوا في وقت السكون ثم وثبوا في وقت الوثوب، فاستردوا ملككم بقوة.
ويراد منكم ان تكونوا في الأمن في ردع يضاعفه من الفضيلة، لا تأمنون الدهر أن
يأتي على عجل يا حمله السلاح: لا تقتلنكم في السلم الراح. يا حمله العلم لا تغلبنكم الخمر على
الحلم. يا معاشر الصنائع من كان الوقت رأس ماله والصحة سبب رزقه والكسب
قوت عياله، فليهجر الخمر فأنها مضیعة للوقت مضرة بالصحة آفة النشاط. قال الهدهد
فبينما النسريتكلهم والجمع يسمعون برز الخمار له بين رجلين من الشرطة أن استجارهم
فطلبوا الى الاستاذ أن يمسه عن الكلام وألا يذم الخمر في بيتها ولا يطعن عليها في
وجهها. ثم أبلغاه أن صاحب الحانة يدعوه الى المحكمة في اليوم التالي ليطالبه أمام
القضاة ببذل ما ألم به من الضرر ولحق به من الخسارة بسبب هذه الخطبة في هذا
الموقف. فامتنع الاستاذ عن الكلام كما أشار وأجاب بأنه سيوافي المحكمة في الغد،
وهناك يكون له وللخمار شأن. ثم مشينا نخترق الصفوف وهي تتحنى للنسر وتحنى
له في طريقه حتى خرجنا من ذلك القسم من المدينة، ودخلنا في قسم آخر فقال الاستاذ
لصاحبيه غدا تبارز أنا والخمر ويحكم القضاة بيني وبين المتجر. قال أحدهما: قد كان
لك يا مولاي غنى عما أتيت إنك ظلمت انسانا من حيث هديت. قال إن الطرق

مدارس العامة، ولا يعلمهم فيها الا الخطباء. والرجل يظلم الناس ليل نهار ومن ظلم ظالماً فما ظلم. إني لأشفق من الخمر على الخاصة فان لهم عقولا تردهم أحياناً الى الاعتدال في أمرهم وانشغالاً من العيش وأسباباً من السعة تعينهم على الخمر وتقيهم كثيراً من عواقبها. ولكن أشفق منها على العامة فهي فيهم سلطان جائر يفتك ولا يرحم، وشيطان ناثر يسكن الرؤس فيملاها شراً ويمتلك النفوس فيملؤها خبائث. واذا هلكت العامة فقد هلكت الخاصة. قال الهدهد: وبيننا أنا ومؤنس بحديث النسر أسمعته ولا أمله، واتعظ بجميع ما يأتي ويذر، وان لم يخاطبني في هذه المرة ولم أخاطبه، اذ قطع الحديث كعادته وتنامب، فعلبت أن الساعة أتت. ثم نظر الى وقال كلمته المألوفة اذا جاء الليل ذهب الشياطين، فالقنى غدا في المحكمة تسمع وتره

المحادثة السادسة

قال الهدهد فلما كان اليوم التالي شمت من النهار وطوله، ومن ينتظر يسأم، حتى إذا مال ميزانه، وأصلت الآفاق، ركبته الى منفيس، وانا أنتظر أن يكون لتلك المحاكمة نبأ، ارجو أن أقف منه على درجة القضاء عند المصريين القدماء، لعلنى بأن العدل كما قيل أساس الملك ولا عدل إلا حيث القضاء يدور دياره، ويولاه أربابه وتوثق أسبابه، فهو مرآة الحكومات التي تتراءى فيها بما هي عليه من استقامة أو عوج وظلم أو عدل، وصلاح أو فساد، وارتقاء أو انحطاط. وأساس الممالك اذا سلم سلمت وإذا تهدمت تهدمت، وعنوان شعور الامم وتعلقها ودرجتها في العرفان ومبالغها من الفضيلة الانسانية، لأن القوانين التي تضعها كل أمة وتتواصى بالخضوع لها، ليست الا مجموعة تاريخها وآدابها وأخلاقها وعاداتها ولأن القائمين عليها هذه القوانين ليسوا الا أفراداً من أبنائها يبصرون بعينها ويسمعون بأذانها، ويشعرون مثل شعورها ويجدون مثل وجدانها. فاذا زكوا زكا سائر الامم، واذا خبثوا، خبثت الامم جميعاً (قال) فلما احتوتني المدينة رأيت الزمر آخذين طريقاً يتدفقون فيه فقلت في نفسى لعل الزحام من أجل بتئور وقضيته وطفقت أطيّر الى حيث يسرون حتى جمعت الجوع دار لديها هالة، وعليها من العدل روتق وجلالة. فقلت في نفسى دار القضاء لا محالة. ومرقت من فوري فصرت فيها أجول مع الجائلين في نواحيها. وهناك علمت أن هذا

البناء الرفيع مقر حاكم القسم ، وأنه يجلس فيه للقضاء بين الناس . فقد رأيت كثيراً من دور الحكومة في الأقاليم وهي التي يجلس فيها عمد البلاد وأعيانها ، وحكام القرى للفصل في المنازعات ، فلم أر ما يحاكي رفعة هذه الدار . فأجابني أحدهم أن قسم الصناعة أكبر أقسام المدينة . يامولاي فلاغروان تكون دار الحكومة فيه بهذا العظم . لكن أأذن لي مولاي ان سأله ألم يكن للحكومة جلالة الملك أن تجعل القضاء عملاً مستقلاً . ونظاماً قائماً بذاته فلا يقضى بين الناس شيخ القرية ولا حاكم القسم ولا قائد العسكر ؟ قال وأنى بأس هؤلاء اذا انتدبوا للقضاء وهم أشد الناس امتزاجاً بالأهالي وأعرفهم بطباعهم وأحوالهم وجلهم على معرفة واستقامة اخلاق . بل أن الأهالي كثيراً ما يفرعون بمنازعاتهم الى أفراد منهم اشتهروا بالعلم والخبرة ليفصلوا بها وهم يرتاحون الى قضائهم . ويقبلون احكامهم ويمثلون الصارم منها كالجلد . وربما كانت هذه الأحكام أدنى الى العدل واقرب للصواب مما يصدره قضاة تقيمهم الحكومة ولا تفتقهم .

ولقد رأيت الاحكام في القرى اذا قصدوا للقضاء . جلس بجانبهم نفر من الكتاب والاعيان ليمدوهم بالرأى ويردوهم الى الصواب فيه .

قال الهدهد : فاستغربت هذه الأقوال وعجبت للدهر كيف تشابه وجهه وآخره . فهذا قضاء العمدة كان من ضمن نظمات المصريين القدماء . وهو اليوم الشغل الشاغل والمسألة الكبرى في مصر ، وهؤلاء المحلفون كما يؤازرون القضاة على عهد الفراعنة وهم اليوم من ضرورات القضاء في باريز مركز الحضارة الحاضرة . ثم التفت للنسرحوله وقال لاصحابه ما أجل هذا الموقف . وهناك بصرت بالنسر في ناحية يحيط به جماعة من اصدقائه وتلاميذه . فاقتربت منه فهبط مستقرى من كتفه ، فالتفت مبتسماً فقال : جعل هذا الموقف للفضيلة ينصرها فيه دعائها ، كما جعل للجرائم يفتضح فيه جناتها . والمتمثلان فيه اثنان جان تعلن براءته ، وهذا يبكي عليه من في الارض ، وبرى . تعلن جنايته ، وهذا يبكي عليه من في السماء . ومن له أن اكون الثاني ؟ فقال له أحدهم قضاة منفيس يامولاي قضاة عدل ودراية ، فلا خوف على رفيع شرفك منهم .

قال لا يضطرب الا القاضي العادل ، ولا يخطئ الا القاضي العليم ولو ان لبنتوور أن يحاكم نفسه بنفسه . لخار في شأنه مع الخنار ، فلم يدر أيقضى لنفسه أم عليها . قال أحدهم هبهم يامولاي حكموا لصاحب الحانة بشيء من المال يأخذه منك عوضاً لما لحق به

من الخسارة المزعومة، فما يكون شأن هذا الحكم. قال أكون قد أعطيت الفضيلة شيثام مالى لا استكثره عليها ولا أتبعه المن. فسأله آخر ما القضاء يا مولاي؟

قال محكمة ظاهرة، ألجأ إليها فساد المحكمة الباطنية. قال فما العدل؟ قال شيء كان مع الإنسان الأول، حين لم يكن له فى الأرض شريك يزاحمه، وكان لا يجد عليها من يظلمه. قال اهدهد: فبينما النسر واصحابه فى التحدث إذ دعى المتقاضيان للشول فى موقف القضاء فدخل الاستاذ ونفر من الشهود له وعليه وكان القضاء نحو سبعة هم حاكم القسم ومعاونوه من كتاب الناحية واعيانها، وكان مترديا حلة للقضاء يضاء ضافية محلاة الحراش، تزهو بقلائد العقيان التى كان الحكم يزنون بها صدورهم كلما جلسوا للحكم بين الناس. فلما صار النسر بين أيديهم قال له الحاكم أيها الاستاذ إن لك بمقتضى مناصبك السامية فى المملكة أن ترغب عن قضائنا الى قضاء جلالة الملك، كما لك أن تقبل منا قضينا لك ام عليك، فانظر ماذا تأمر.

قال رضيت بقضائكم لأن مناصبي السامية فى المملكة ليس من شأنها أن تميزنى على خصمى هذا فى موقف يستوى فيه الخصوم ويقتص فيه للحصى من النجوم. فاسمعوا له ولى، ثم اقضوا ما أتم قاضون، قال إنه يقول أنك أذريت به وبجارتته وأنه لا بد له من بدل ويطلب من المحكمة أن تحكم له بما لا يأخذه منك، وقد جاء بشهود من عنده للاثبات فهل جئت بشهود من عندك للنفى؟ قال ليس لى شهود من عندى أيها القاضى وما خطر لى قط على بال أن الشهادة تتجزأ، لأنه لا فضيلة ولا عبادة حيث يختلف اثنان فى شهادة. وإنى لأعجب لكم معشر الحكام كيف تقبلون من شاهد أن يثبت ومن آخر أن ينفى، وأتم تعلمون أن أحدهما كاذب أو محرف للشهادة لا محالة، وقبول الكذب اغراء به.

أن الشاهد دعامة القضاء، اذا منتت متن، واذا وهنت وهن. فقوموه تقوموا به. لو أن من الآلهة قضاة فى الارض، ومن الملائكة متقاضين، وفسد الشاهد لفسدوا جميعا. الشاهد عنوان الامة فاجعلوا عنوانها الصدق والفضيلة، لا المين والرديلة. ان شاهدين يقول أحدهما رأيت نهراً فيقول الآخر رأيت ليلاً، ويقول الاول سمعت ضحكا، فيقول الآخر سمعت بكاء، لمن حقهما ان يفصل بينهما قبل أن يفصل بين المتقاضيين فمن كذب منهما يسلب السمع والابصار، وينادى عليه فى الناس بالفضيحة والعار. قال الحاكم إن مقام هذا المقال المدرسة، لا المحكمة أيها الاستاذ. ولا بد لنا ان

نسمع الشهود، فليخرجوا وليبق واحد، فخرجوا الا واحدا فطلب القاضى منه أن يؤدى اليمين القانونية . وهى عند المصريين القدماء اقسام بحياة الملك وبنعمة الآلهة . فادأها ثم قص على المحكمة ما رأى وما سمع وحدث القضاة حديث الخطبة وأعاد عليهم منها حتى فرغ من الشهادة فذهب لشأنه وجىء بغيره فأدأها ثم شهد ثالث ورابع وخامس فرأيت الكل على خلق واحد من توخى الصدق والتوجه الى الحقيقة والابحاز فى العبارة . فغبطت قضاة الفراعنة بهم وبسائر الامة، أمة الاخلاق ورثت فى نفسى لقضائنا علما بما يكابدون من جهل الشهود وروغانهم من الحقيقة وخبطهم فى المقالة بما يخرج القاضى أحيانا من سكينته ويشتت خواطره ويذهب بشمين وقته سدى . ثم طلب القاضى من صاحب الحانة أن يشرح دعواه ، فتقدم رجل أسمر اللون ، صغير الهامة ، رقيق العنق قبيح الوجه ، فسأله الحاكم من أنت قال فلان الكاتب يامولاي ، أنا بنى صاحب الحانة عنه فى تقرير شكواه ، وشرح دعواه . قال إذن تكلم فاقسم الرجل ثم شرح يقول :

«دخل السيد الاستاذ بنتوور صديق ملك العالم حاتنا التى بشارع الصناعة يصحبه قتيان فلبث فيها ريثما شرب قدحاً من نبيذ منفيس ، ثم خرج فلم ندر به الا وقد وقف بباب الحانة فمنعه ، واعترض للناس فى طريقهم اليها فقطعه ، وخطب فى المارة بعد ذلك فاستوقفهم ، وجلب الزحام بعضه بعضا حتى خيل للرأى أن الحانة قتل فيها قتيلا ، أو حدث فيها حادث جليل ، وكانت الخمر موضوع خطبته أولها وآخرها ، فوصفها بأقبح الأوصاف ، ونهى عن شربها وحذر من عواقبها وذكر مضارها وبين نصيب كل طبقة من طبقات الامة منها ، وطالت خطبته هذه حتى سمعها خلق كثير ، ومن فاته أولها لم يفته آخرها . ويعلم القضاة من جهة أن تجارة الاهليين حرة فى بلاد جلالة الملك ، وأن قوانين جلالاته لا تحرم الخمر ولا تمنع من المتاجرة بها . ويعلمون من جهة ثانية أن للخطابة مواقف لم يكن ذلك الموقف منها . فلو قال الاستاذ فى الخمر ما قال وهو فى المتعبد بالهيكل أو فى التعليم بالمدرسة ، لما وجد لائما ولا مؤاخذا لكنه عمد لشخص معين فأزرى به وبتجارته بمرأى ومسمع من الكافة ، ويعلمون كذلك أن آلاف الحانات بين الناس هم العامة فى الغالب ، وهؤلاء يتأثرون بذكر اسم الاستاذ بنتوور ، فكيف اذا سمعوا حديثه وكان مداره ذم الخمر فى بيتها ، وتقبيح تجارتها بين أعين تجارها ، ويعلمون

أيضا أن المارة في أى قسم من اقسام المدينة انما يكون معظمهم من أهله و سكانه ،
وحاتنا انما جعلت لآبناء تلك الناحية التى خطب الاستاذ عليها ، فكل ضرر ينشأ
عن خطبته انما يلحق بالحانة ويصيب صاحبها بالذات. هذه شكوانا بسطانها للحاكم
واعوانه آملين من عدالتهم أن يقدرُوا الخسارة التى سببها الاستاذ لنا بخطبته ، وأن
يسوموه أداء العوض البناء فحين فرغ الرجل من شرح الشكوى لم يبق لك بتقوّر أن
ضحك ثم قال

أيها القضاة اعطوا الخمار من مالى ماشتم ، ولا تعطوا هذا الاحق منه قليلا . فسأله
الحاكم وأى علاقة بينكما وليس هو الا محاميا عن صاحب الحانة ؟

قال علمت انهما اشترط أن يكون له النصف مما تحكمون به على ، وأن الخمار عارضه في ذلك
بادىء بدء ، فكان جوابه أن التجارين سواء . فكما أن الخمار يسلب الناس أموالهم
كذلك المحامى يشاطرهم أرزاقهم . زعم الخصم أن قوانين جلالة الملك لا تحرم الخمر ولا تمنع
من المتاجرة بها ونحن نقول أنها تبيح السم أيضا ولا تحظر الاتجار به ، مادام من العقاقير ،
وكل ما أخذ بمقادير . على أننا لم نحرم الخمر ولم ننه عنها ، وكيف وقد شربنا منها
قدحا باعتراف الخصم . لكن دعونا الناس الى الاعتدال فى امرهم وأخذ القليل منها ،
إذا لم يكن من شربها بدء . فقلنا كمن يقول لهم وهو على باب صيدلية لاحانة : يا أيها
الناس لا تأخذوا السم إلا بمقدار ، فهل علينا ان قلنا هذا من حرج ؟ شتان بين النوعين
من السم : هذا يأخذه المرء وهو يعافه . وهذا يتناولوه وهو يلذه . هذا يتجرعه وهو
يدرئ ، وهذا يتعاطاه وهو لا يدرئ . هذا إذا أخذ قليله نفع ، وإذا أخذ كثيره أراح .
وهذا صمة تزول . وشعور يعتور ذبول . وعلة تطول . وميتة عذابها يهول .

وزعم الخصم أن للخطابة مواقف لم يكن ذلك الموقف منها . ونحن نقول ان الموقف
لم يكن أصلح منه للخطابة لأن قدحا من الخمر لا يرثى له إلا فى الحانة ، كما أن الميت لا
يؤبن إلا فى القبر . وزعم الخصم أن خطبتنا من شأنها أن تؤثر فى العامة الذين هم
المشاؤون إلى الحانات ، وهذا ما كنا نبغى . فأنا نلتقى بالخاصة فى المجالس ، ونكتب لهم
ما تصل اليه ايديهم وافهامهم . لكن لا يجمعنا والعامة الا الطريق ، ونصحهم دين علينا
أينما لقيناهم . وزعم الخصم أن البلاء مقصور على حاتته ، لأنها انما جعلت لآبناء الناحية

التي حاربنا فيها الخمر ، فأصبح ينتظر في سكانها ان يولوا الوجوه عنها ، وهذا يسوؤنا بقدر ما يحزن صاحب الحانة فقد وددنا لو عم النفع ، بقدر ما خص الضر .

أيها القضاة لا تحكموا للخمر فتحكموا على الفضيلة ، ولا تقضوا له فتقضوا على التجارة الشريفة . لأن المتاجر بالخمر قاسى القلب لا يرحم صرعا ، اغدار لا يشيع جنازة قتلاه ، غشاش لا يقف في الغش عند حد . شره لا يقصر في الكسب عند غاية . فإذا لم يكن منكم رقيب عليه ، ولم يضرب القضاء على يديه ، عظم شره ، وعم ضره ، وتشبه به الكثيرون من اهل الكسل والشره ، ثم تعلق القاضى بهذا الحكم

ونحن حاكم قسم الصناعة من أسباب حكمنا الذى نصدره باسم جلالة الملك مقتبسين من أنوار عدله المشرقة على العالم أن الينيات موازية الاعمال ، لا غنى للقضاء عن تقديرها ، والتأمل فيها ، والوقوف حيث هى من صلاح أو فساد فى الحكم على صلاح الاعمال أو فسادها . ونية الاستاذ بنتو وريوم خطب فى شارع الصناعة كانت مقصورة على أن ينفع الناس ولا يضر بصاحب الحانة . وأيضا أن الفضيلة هى روح الشرائع التى يحكم بها جلالة الملك رعاياه ، فلا ينبغى لها أن تنصر عليها الرذيلة فى حال من الاحوال . والاستاذ بنتو وريوم انما نهى عن الاكثار من الخمر وادمانها الذى هو رأس الرذيلة . ونرى ذلك الاستاذ بنتو وريوم من كبار أساتذة الأمة ، واهل الارشاد فيها . وهذه الوظيفة العالية يؤديها امثاله الحكماء فى كل زمان ومكان أينما وجدوا وكيفما ارتأوا ، وكل معرض لهم فيها تعرض للفضيلة . وبناء على ذلك حكمنا بىطلان دعوى الخمار وان يدفع الى الاستاذ بنتو وريوم عشرين قطعة من الذهب لأنه سلبه بعض وقته الثمين وأخره عن اشغاله النافعة فى دعوى لم يكن من شأنها ان ترفع الى القضاء . ولهذا السبب نفسه حكمنا على الكاتب « فلان » المحامى عن الخمار بخمسين جلدة يجلد بها فى صحن دار الحكومة هذه بمشهد من الناس عقوبة له على غشه صاحبه ولكيلا يجترى . أمثاله الكتاب على أخذ أموال الناس بغير الحق . قال الهدهد ثم تئاءب النسر تئاءبه المعهود وفاه بكلمته المألوفة : اذا جاء الليل ذهب الشياطين ، وامرنى ان القاه غدا ذلك اليوم فى دار الأمير (أوفى)

شجر التمر



امام حنيفة ٢٣٧

جامعات الجزائر

شعر التصوير

جامعات الجزائر

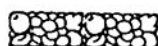
The Gleaners

(الصورة من رسم جان فرنسوا ميليت - Jean Francois Millet : ١٨١٤م -

١٨٧٥ م، وهي من نقائس متحف اللوفر)

يَلْقُظْنَ مُنْبَثَ الْجُزَازِ كَأَنَّمَا * يَبْحَثْنَ عَنْ كَنْزِ بَرُوحٍ بِخَيْلِ
وَيَسِرْنَ فِي صَبْرِ الْحَكِيمِ مُنْقَبًا * عَمَّا يُفِيدُ ، بِنَشْوَةِ التَّأْمِيلِ
خَلَّتْ الْحَقُولُ مِنَ الْغِلَالِ وَتُسْقَتْ * وَعَلَتْ جُوعٌ دَرِيْسَهَا كَتْلُولِ
وَالنَّاسُ فِي مَرَجِ النِّشَاطِ حَيَاهَا * وَالْأَرْضُ بِاسْمَةٍ لَرْدٌ جَمِيلِ
صَفَرَاهُ مِنْ ذَهَبٍ كَشَمْسٍ أَصِيلَا * وَالْجَوُّ مَفْسُولٌ بِتَبْرِ أَصِيلِ
وَالْقَرْيَةُ الْحَمْلَةُ نَمٌّ قَرْيَةٌ * بَيْنَاتِهَا وَرَجَالُهَا وَخِيُولِ
عَانُوا لِفَرَحَتِهَا يَوْمَ حَصَادِهِمْ * وَاقُوا بِشَاشَتِهَا أَحَبُّ بِدِيلِ
لَا بَدَعَ إِنْ غَنَوْا وَأَشْرَقَ يَوْمُهُمْ * وَاسْتَفَرَقَتْ خَيْلٌ لَهُمْ بِصَهِيلِ
لَا غَرَوْا إِنْ هُمْ أَسْرَفُوا فِي حُبِّهِمْ * لِلْأَرْضِ أَوْ سَكَرُوا مِنَ التَّقْبِيلِ
وَمَضَتْ رَشِيقَاتُ النِّسَاءِ جَوَامِعًا * هَذَا الْجُزَازُ كَأَنَّهُ طِبُّ عَلِيلِ
يَجْمَعُنَّهُ فِي زَهْوِهِنَّ كَأَنَّهُ * أَوَّلَى بَانَ يُخْتَصُّ بِالتَّكْلِيلِ
وَحَنِينَ رَاضِيَةِ الظُّهُورِ بِلَا وَنَى * فِي حِينٍ لَا تُحْنَى لَغَيْرِ جَلِيلِ
وَحَرَضَ طَيِّبٍ مُلَاعَةٍ فِي حِفْظِهِ * حِرْصَ الْمُضَيِّفِ عَلَى حَيَاةِ نَزِيلِ

وتَعْدُهُ سَيْقَانٌ نَبْتٍ مَيِّتٍ * وَعَدَدُهُ أَثَرًا لِرُوحٍ نَبِيلٍ
 وَكَذَا الْحَيَاةُ رُسُومَهَا فِي قَدْرِهَا * تَمَعُّ لِحَظُ الْفَنَمِ وَالْثَاوِيلِ
 فَذَا الَّذِي أَصْفَرَتْهُ إِضْآلَةٌ * حَيَّاهُ مَنْ يَلْقَاهُ غَيْرَ ضَائِلِ
 وَتَعَافُ مَنْظَرُهُ، وَغَيْرُكَ رَاسِمٌ * أَلْوَانُهُ فِي الشَّعْرِ وَالتَّهْوِيلِ (١)
 سُبْحَانَ مَنْ جَمَلَ الْجَمَانَ مُوزَعًا * فَذَا الْجَمِيلُ يُخَالُ غَيْرَ جَمِيلٍ !
 أَبُو شَادَى



(١) التهويل : النقش بالألوان، ومنه التهاويل بمعنى التصاوير . قال ابن الرومي
 في قصيدته عن يوم المهرجان (التي رفعها الى عبيد الله بن عبد الله) من وصفه للايوان :

لم يكن يبتنى المساكن حتى * يتقن المجده أئما إقتان
 فأذيلت بها تهاويل رقم * قائمات بزينه المزدان

الدين وعلم النفس الحديث

الحياء

لسنا في حاجة الى اثبات الصلة بين الحياء والدين لان الاحاديث «الحياء شعبة من الايمان» و « اذا لم تستح فاصنع ما شئت » وغيرهما هي احاديث معروفة متداولة. ولا نريد ان نبحث في الفرق بين الحياء والخجل والحشمة الخ، لان هذه فروق لغوية لاقيمة لها في بحثنا هذا. ولكنتنا نريد —

(١) ان تلفت النظر الى بعض مظاهر الحياء التي كثيرا ما نسيها فهمها (٢) ان نحاول فهم الحياء وتحليله بأن نطبق عليه بعض نتائج ابحاث علم النفس الحديث ليس الحياء محصورا في احمرار الوجه واطراق الرأس وأمثاله من المظاهر المعروفة بل انه له مظاهر أخرى اقل وضوحا وأكثر تعقيدا. ترى مثلاً ان بعض الناس يخاطبك بصوت مرتفع حين لا حاجة لرفع الصوت ويبدى انواعاً من الجراءة والوقاحة وعدم الاكتراث ولا داعي الى شيء من ذلك. قد يخطر لك ان في هذا السلوك شيئاً من الغرابة ولكنك لا تشك مطلقاً في كونه جرأة وقلة حياء. ولكنك اذا درست هذا النموذج من الناس ودققت في ملاحظة سلوكهم يتبين لك ان ما تظنه قلة حياء هو في الحقيقة مقاومة شدة الحياء ... ارتفاع الصوت هو وسيلة الى اخفاء ما قد يصيب الصوت من الاضطراب بسبب الخجل. والوقاحة ليست الا ستاراً تخفي وراءه مظاهر الارتباك الذي يسببه الحياء. وهكذا يمكنك ان تفسر أيضاً الجراءة التي في غير محلها وعدم الاكتراث وغيرها. وترى آخرين اذا دخلوا محلا عموميا — حديقة جروني مثلاً — وكانوا مضطربين ان يخترقوا صفوف الجالسين أخذوا ينظرون الى ابعد نقطة في المحل كأنهم يبحثون عن شخص ينتظرهم هناك مشغولين بالتصفيير أو البحث في جيوبهم عن المنديل ومسح جبينهم ورقبتهم ولو كان الفصل شتاء. أو يخرجون الساعة وينظرون فيها طويلاً كأنهم يفكرون في حلول الميعاد وعدم حضور الشخص الذي ينتظرونه. أو يغيرون العصا والقفاز من يد لأخرى. وقد يقفون في وسط المحل ويدهم على خصرتهم أو تلاعب سلسلة الساعة أو ازرار الصدر. واذا كانوا اثنين رأيتهم يتحدثون كما لو كانوا وحدهم

في المكان و يغربون في الضحك غير ملتفتين الى أحد من الجالسين . قد تحسد أمثال هؤلاء . وتقول لنفسك ان تلك هي الشخصية الحرة القوية التي لا تعرف آلام الخجل ، وتتمنى أن يكون لك ولو بعض تلك الحرية . ولكنك لو أوقفت احد هؤلاء بغتة أثناء اختراقه الصفوف لرأيت أن حريته وعدم اكترائه يتحولان إلى ارتباك ظاهر وصغيره يصير شيئا ونظره الثابت يضطرب وتراه ينظر إلى عدة جهات في وقت واحد . وذلك لانك فاجأته بمقاطعة تفكيره الذي كان منحصرا في مهمته الشاقة — مهمة مقاومة الحياء من مئات الاعين التي يظن انها تنظر اليه . وهناك آخرون اذا صافحتهم ترتعد يدهم في يدك وتشعر انهم يحاولون التخلص منك ، وبعضهم لا يطبق المصافحة مطلقا ويجذب يده بشدة اذا انت اطلت المصافحة . بعض الناس يقولون ان ذلك دليل على خبث الطوية وسوء النية نحو الشخص الذي لا يطبقون مصافحته . ولكننا نعتقد ان هذا احد مظاهر الحياء الذي نسيه فهمه ونخطئ في تأويله لان هؤلاء يفعلون ذلك دائما ومع كل الناس حتى مع الذين يلتقون بهم للمرة الاولى ولا يعرفون شيئا عنهم ، وانما هو نوع من أنواع الخجل . فكما أن بعض الناس يخجلون اذا اطلت النظر اليهم فهؤلاء ايضا يخجلون اذا اطلت مصافحتهم . ومن مظاهر الخجل الكبرياء . فقد عرفت فتاة انكليزية يكرها اكثر معارفها لتكبرها . ولما خاطبتها في ذلك اعترفت بان ذلك حياء لا كبراً . وانها اذا اجتنبت الناس أو ظهرت كأنها لا تكترث بهم فهي انما تفعل ذلك لتحمي نفسها منهم لانها تخجل حتى من سماع صوتها ووقم أقدامها اذا كان هناك شخصا آخر يسمع أو ينظر . . . وهذا يذكرني بأحد أقاربى . كنا نقول عنه انه يمشى كالجمامة و ينظر كالارنب ويتكلم كالأفعى . وتوول ذلك تأويلات مختلفة ولكنه في الحقيقة كان من الذين يستحون من سماع صوتهم ووقع أقدامهم . وعرفت شابا شرقيا كان مشهور بكثرة التواضع ينحنى لكل صغير وكبير ولا يدخل قبلك محلا ولو كنت أنت البواب لذلك المحل ويحفظ عددا كبيرا من عبارات الاحترام والمجاملة ويستعملها مع الجميع على السواء ، وكان محبوبا عند معارفه واصدقائه ولكن كان في تواضعه شيء يضايقني شخصا . شيء غريب وغير طبيعي ، وبعد مراقبته مدة طويلة تبين لى ان التواضع هو سلاحه الذي يبقى به مسيات الخجل ، يكثر من التأدب والتواضع ليشغل عن نفسه ويشغل نفسه عن نفسه . هذه بعض مظاهر الحياء التي لاحظتها

و درستها شخصيا، وهى تدل على ان الحياء اقوى تأثيرا فى سلوكنا واكثر انتشارا مما نظن. والآن ننظر فى الحياء نفسه .

الحياء فى العربية من اسماء الرحم كما فى المخصص وغيره من كتب اللغة. وفى الالمانية ايضا يطلقون لفظة Scham على الحياء الذى هو بمعنى الخجل ويطلقونه ايضا على الاعضاء الجنسية للرجل والمرأة. ومن معانى لفظة Pudeur الفرنسية الحياء والعفة وعلاقة العفة بالاعضاء الجنسية واضحة. وفى العبارة الانكليزية Private Parts ما يشير الى نفس العلاقة بطريقة غير مباشرة. وفى بعض اللغات العربية الدارجة نجد ما يقرب من ذلك. ففى تونس مثلا يسمون الاعضاء الجنسية للرجل « محاشم » من الحشمة وفى الجزائر والمغرب الاقصى توجد عبارات يمكن ان تدل على الحياء وعلى العورة معا. فكان الحياء يذكرنا بالاعضاء الجنسية والاعضاء الجنسية تذكرنا بالحياء.... ثم اتنا نلاحظ ان درجة الحياء تختلف باختلاف الجنس. الانثى تكون غالبا اكثر حياء من الذكر الذى فى سنه. ولعل ذلك يرجع الى ان الانثى اكثر شعورا باعضائها الجنسية من الذكر. الرجل اذا انهمك فى عمل من الاعمال قد ينسى اعضاءه الجنسية وكل ما يتعلق بها مدة طويلة. اما المرأة فلا تستطيع ذلك لان الحيض الذى يتكرر شهريا ويدوم اياما وما يتبعه من الاضطراب الجسمى والنفسى، يذكرها دائما بانها انثى وأن لها اعضاء جنسية. ثم ان المنطقة الجنسية فى المرأة اوسع منها فى الرجل. ثديا المرأة منطقة جنسية مهمة ليست اقل اهمية من الرحم نفسه. وتراثبها ايضا منطقة جنسية. واسفل بطنها واعلى فخذيها وعجزيتها وساقاها، كلها مناطق جنسية. فجسم المرأة يكاد يكون كله منطقة جنسية او مجموعة مناطق جنسية تفتن وتفتن وتثير الشهوات وتثار فيها الشهوة. وذلك هو سبب الخصومة بين الدين والفرن فى هذه المسألة. النحت والتصوير يميلان إلى الجمال العارى لابرار التدين والبطن والفخذين وبقية المناطق الجنسية. والادب يملأ بذكر التراثب المصقولة والنهود المستديرة والكشع اللطيف والعجيزة الضخمة والساق الدماء. والدين يعتبر كل ذلك « عورة » ويحرم كشفه ويعد كشفه حرام وقلة حياء. فالمرأة اكثر حياء من الرجل لانها تشعر أن كل جسدها عورة وأن النظر اليه لا يكون الا نظر شهوة. ونلاحظ ايضا أن الحياء يختلف باختلاف السن. فهو يكثر جدا عند المراهقين ثم يأخذ فى التناقص

شيئا فشيئا عند الشبان، فالفتيان فالكحول فالشيوخ. قد يطرأ على هذا الترتيب الاضطراب والتداخل وقد يكثر عدد الشواذ في بعض البيئات لأسباب مختلفة. ولكن بما لا شك فيه ان أغلب المراهقين من أكثر الناس حياة وأكثر الشيوخ من أقل الناس حياة. وذلك الان المتقدمين في السن لكثرة معرفتهم واختبارهم للأعمال الجنسية، قد زال منهم الخوف من تلك الاعمال، فهم ينظرون الى المرأة كما ينظرون الى طعام اعتادوا اكله أو ثوب اعتادوا لبسه بدون خوف ولا خجل ولا ارتباك. وليسوا كالشبان الذين ترتعد فرائصهم اذا لامس جسمهم جسم امرأة أو نظروا الى جزء صغير من ثديها أو مما فوق ركبتيها. هذا بعض ما يمكن ان نصل اليه بالملاحظة والاستنتاج فاذا نحن استعنا بالذاكرة ورجعنا بها الى عهد الطفولة تذكر اننا نسمع كلمة «حياة» لأول مرة عند ما نكون لانزال بين الثالثة والرابعة وتكشف عن أعضاءنا الجنسية أو نلصقها أو نلعب بها أو نشير اليها بالكلام فيقال لنا أولا — لا تفعل! واذا لم تنته نزرع بالعبارة — (الاستحي!) أو ما يقابلها في مختلف اللغات واللهجات. فاذا نحن تمادينا نعاقب بالضرب أو بغيره فنفهم حينئذ ان الحياة هو أن لا نلعب بأعضائنا الجنسية وان لا نتكلم عنها واننا اذا فعلنا ذلك نعاقب. ولكننا نستمر على ممارسة ذلك سرا لاننا نجد لذة في ذلك اللبس واللعب اللذان يصيران فيما بعد استمنا وعادات سرية أخرى. فاذا عثر علينا ونحن نفعل شيئا من ذلك تذكر العقوبة فنخاف ونرتبك و(نخجل) ويقال لنا من جديد ان ذلك الفعل هو عيب وقباحة و(قلة حياة) ولكن الغريزة الجنسية لا تخوف بالعقاب ولا تشبع بالمواعيد. لذلك تبقى قوية جريئة ملحة واذا ذلك يتبدى العراك بين العقل الظاهر والعقل الباطن أو الذات المهدبة والذات الفطرية. الاولى تنكر الغريزة الجنسية وتكتمها وتتناساها. والثانية تطالب وتلح وتثور. ونتيجة هذا العراك هي الحياة أي الخوف من أن يتنصر العقل الباطن على العقل الظاهر ففتضح. والدليل على ذلك هو انك لا تكاد ترى للحياة اثرا في العائلات العصرية المتعلبة حيث تقل الخرافات والتقاليد والخوف من عقاب الدنيا والآخرة، وحيث يتعلم الطفل ان أعضاءه الجنسية هي كغيرها من الاعضاء وليست عورة أو سوءة ويفهم أن سوء استعمالها لا يليق بنفس الطريقة التي بها يفهم ان سوء استعمال فيه أو يديه لا يليق

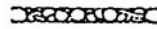
ودليل آخر هو غياب الحياء مدة النوم عندما تضعف رقابة العقل الظاهر الاشياء التي نستحي من فعلها في اليقظة نفعلها بدون حياء في المنام. اذا اشتهى الانسان امه أو أخيه مثلا في حالة اليقظة يستحي ويطرد الفكرة من نفسه في الحال. ولكن اذا حصلت تلك الشهوة في الحلم فقد يقضى وطره دون ان يشعر بأى خجل او ندم لان العقل الظاهر يكون اذ ذاك غير متنبه.

أرد دونك يقظانا ويأذن لي * عليك سكر الهوى إن جئت وسانا
هذا هو منشأ الحياء فاذا تمكن وصار عادة يمتد تأثيره الى كل الشخصية ويصير
ضعفا خلقيا عاما او نوعا من الجبن فيستحي الانسان من كل شيء - من التصريح بمبدئه
والمجاهرة بعقيدته والتعبير عن آرائه، ويستحي حتى من الحق ويكذب ويخضع ويرأى
من شدة حيائه.

اما اهمية الحياء في الدين فلا صعوبة في فهمها اذ الجانب العملي من الدين هو المنع
والتحريم. والحياء يساعد على ذلك. لان الذى لا يستحي لا يقتنع بسهولة بحكمة الحرام
والحلال والمكروه والمستحب بل يشك ويسأل لماذا؟ ويجادل في آيات الله لانه
لا يستحي.

طاهر خميرى

همبورج



الحب

أول الحب في القلوب شرارة	تخفى نارة وتظهر تاره
ثم يرقى حتى يكون سراجا	لذويه فيه هدى واناره
ثم يرقى حتى يكون مع الايام	نارا حمراء ذات حراره
ثم يرقى حتى يكون أتونا	بحراراته تذوب الحجاره
ثم يرقى حتى يكون حريقا	فيه هلك لاهله او خساره
ثم يرقى حتى يمثل بركا	نا يرى الناس من بعيد ناره
ثم يرقى حتى يكون جحيما	عن تفاصيلها تكل العبارة

جميل صدقي الزهاوى

السرعة

٥٧٢ كيلو مترا في الساعة

كان يوم ١٠ سبتمبر سنة ١٩٢٩ يوم غلبة ومجد: يوم تأليه للسرعة الانسانية المحققة. فقد تمكن الطيار الانجليزى الكابتن أولبار من قطع ٥٧٢ كيلومترا في الساعة الواحدة أى بمعدل ١٥٨ متراً في الثانية . وهى السرعة التى تسير بها القذائف . فقد ثبت من احصاء رسمى لسرعة البطاريات فى سان سير سنة ١٨٥٩ أن سرعة رصاصة المسدس وقتئذ كانت ٢٠٠ متر في الثانية عند انطلاقها من الفوهة ثم تصير الى ١٥٠ متراً في الثانية عندما تبعد ٤٠ متراً عن مصدر انطلاقها .

وهذه السرعة هي نفس سرعة الافلاك في اثير السماء فالارض في حركتها الدورية اليومية التى تتم في ٢٤ ساعه يسير جزء من خط الاستواء الارضى بسرعة ٤٦٥ متراً في الثانية وفي خط باريس العرضى تقل هذه السرعة فى النقطة الارضية الى ٣٦٥ متراً . وفي عرض ٧٠ درجة تترك الى ١٤٨ متراً أى ما يقارب السرعة التى قطعها الطيار الانجليزى فى المباراة للحصول على كأس شنيدر .

وعرض ٧٠ درجة هو عرض الرأس الشمالى فى شمال نروج فى أوربا . فاذا سارت الطائرة الانجليزية فى هذا العرض من الشرق الى الغرب ظللت دائماً تتمتع برؤية أشعة النهار دون ان تبصر للشمس غروباً .

واذا اضفنا العشرة أمتار فى الثانية التى فاز بها الطيار أولبار على مسير الارض لتمكن الطيار من مطاردة الشمس وتسنى له رؤيتها وهى تشرق من (الغرب) وتغرب من (الشرق) وهذا يعد فى حد ذاته من خوارق المعجزات التى لا يتصورها عقل والدوران الحقيقى حول ارض هو قطع خط الاستواء فى طوله البالغ ٤٠٠٠ كيلو متر . فاذا سار الطيار بسرعة ٥٧٢ متراً فى الساعة لتمكن من الدوران حول الارض فى ٦٩ ساعة و٤٦ دقيقة أى فى يومين و٢١ ساعة و٤٦ دقيقة ولو امتطى الانسان مثل هذه الطائرة لتسنى له الفطور فى اوربا وتناول العشاء فى امركا .

هذا هو الفوز الذى احرزته الطائرة على البالون وهو السرعة . وما السرعة الا الجمع بين المسافة والوقت اللذين هما اعدى اعدائنا وقد اغمت الطائرة انفهما ، ولاندرى ما يخبؤه لنا الغد من المدهشات التى تحير العقول وتسلب الالباب ومن يعيش يره

جان دى لا بريير

وكتابه « الأخلاق »

جان دى لا بريير أخلاقى افرنى رسم بقلبه عواطف الانسان . وأبدى مكنونات
خواده . وأظهر ما تكنه جوانحه من نزعات وما تحنى عليه ضلوعه من مرام . مظهرآ
الفاسد منها ، ناقداً المعوج . مجبذاً القديم . حتى اذا أراد امرؤ الأخذ بالصالح منها
وجدته على متناول يده

ولما كانت الاخلاق عنوان مجد الأمة اذا حسنت نمت الأمة وسادت ، واذا
فسدت اضمحلت وبادت ، راينا أن نبداً مقالاتنا الأدبية بتحليل نفسية هذا الكاتب
الاخلاقى ، ونقد كتابه المسمى « الأخلاق » مدلين على مواضع الاجادة منه ، ومبدلين
مواطن النقص فيه وناقلين الى العربية مقتطفات منه ليدرك القارىء ولو لماماً فوائد
هذا المؤلف الذى لو أتيج له مترجم الى العربية متضلع من معانيها مشبع من بيانها
واقف على دقائقها ، لآدى لامته بتعريبه خدمة لا تقوم بمال .

حياة لا بريير

ولد لا بريير فى باريس سنة ١٦٤٥ واستعز الله به سنة ١٦٩٦ أن يجرى له فى حياته
حدث يثير الاهتمام . فقضى عمره فى معية البرنس دى كونويه الكبير مثقفاً ابنة وملقناً
إياه العلوم والمعارف ومقوماً اعوجاجه . ومصلحاً من التواء ميوله .

ولما كان دائم التردد على البلاط الملكى الفرنسى أبصر بعينه النقادة ظلم النظام
الاجتماعى الذى جعل الناس طبقات تسمو الواحدة على الأخرى فترهقها بالمغارم
وتسقيها الذل والهوان ، وتحملها أنواع الخسف والجور . ورأى محاباة الطبيعة فى
توزيع الهناء فتخص به من لا يستحقه . وتمنعه عن هو له أهل وتبدى له شقاء العامة
وما تتحمله فى سبيل العيش من كدح يضيئها ، وكد يفنيها ، دون أن تصل الى ماتسد
به رمتها وتدفع به عن نفسها غائلة الجوع ، فتفجرت عواطفه وجاشت ميوله وآلى على
نفسه ان يعمل لأصلاح هذا الخلل فعرب كتاب الاخلاق لتيوفر است اليونانى وأردفه

بآخر من نتاج قريحته وثمرات مشاهداته فكان نبراس هدى لمن يريد أن يهتدى الى
قويم المبادئ وحميد الخصال

ما حمله على وضع كتابه

لقد ذهب البعض الى أن لا بريير استوحى في تأليف كتابه مما خطه يراع تيوفر است
اليوناني لا سيما وأنه صدره بترجمة كتاب هذا الاخير في الموضوع ذاته
لكننا نرى أن ما حدا به الى وضع مؤلفه هي حاجات العصر الذي عاش فيه
وذوق أهله فقد كانت الامثال والحكم كثيرة التداول على ألسنة القوم يتسابقون
الى استظهارها ويسعون الى الاكثار منها، ففتق لروشنو كول أن ينيلهم مشتاهم فالف
في ذلك كتابا تذوقه الجميع بشغف عظيم

وكان ما يسمونه الصور - أى تصوير العوائد وسرد الاخلاق - كثير الشيوع
وقتئذ يتطلبه مقتضى العصر وتستلزمه ثقافة الوقت فبرز الى عالم الوجود سنة ١٦٥٩
كتاب مقتطفات مدموازيل، فاستنعى صيته وأقبل الناس عليه ايما إقبال
ومن أشد مظاهر الذوق في تلك الأيام السعى الى ادراك الحقيقة الخالصة من
كل شائبة فكانت الحكم والامثال غاية أهلها وتصوير العوائد ووصف الاخلاق
مطلبهم يسعون الى ادراكه بكل ما أوتوا من ذلاقة لسان وفصاحة بيان وبلاغة
أسلوب لانهم كانوا يرون في الصور والحكم جلاء للحقيقة واظهاراً لما هيتهما فنبذوا
فيهما كما هي ناصعة بيضاء دون أن يحجبها زخرف أو يخفيها طلا، ومن غير أن
يكون للخيال الروائي والشعري أدنى دخل في تشويه معالمها اذ يبروزها جليلة
واضحة دون ستر ولا سدل يقترب الفن اللغوى بقدر الامكان من التعبيرات العلمية

تعمقه الفكرى

لكل امرئ مهما سمت مكاتته الادبية حسنات تذكر فتشكر وسيئات تسرد
فتبتذل. لان العقل البشرى مهما أوتى من سعة الادراك ليس في وسعه أن ينتج عملا
كاملا. فالنقص صفة ملازمة لطبيعتنا البشرية فاذا ما أبدينا مواطن الضعف
في لا بريير لا تتوخى النيل من حقه وغمطه فضله ولا افتقاد الكتاب قيمته . فانما

نسعى الى تحليل نفسية الكاتب وتمحيص مقدراته الفنية واظهار ما انطوى عليه من قوة أو وهن.

يتألف كتاب «الاخلاق» من حكم وأمثال وصور للاخلاق والعادات. فقد حذا فيه حذو لاروشفوكول، لكنه استخلص الصور والصفات واكسبها شكلها الفني وقيمتها الفلسفية وبرز في ذلك تبرزاً لم يزه فيه أحد. لكنه لم يسم في الحكم سمو لاروشفوكول، بل لبث من الوجهة التفكيرية العامة في مستوى أدنى من مستوى غيره، من خاض موضوعه أو ما يشابهه. فقد فاقه باسكال بعمق أفكاره وبحثاف صميم النفس لاظهار بواطنها وكشف غوامضها. لان لا بريير لم يكن ذا قوة تحليلية عظيمة ولا ذا مقدرة نفسية تمكنه من التغلغل في أعماق القلب البشري. ولم يتصف بميزة ذاتية تهيأ له بواسطتها التسلل الى الغرائز والطباع بل جل ما امتاز به صفات ليست بفذة لكنها فوق المستوى العمومي، عصمت من كبير زلل. لكنها لم تؤهل به لعظيم اكتشاف

ولا يجب أن يؤخذ الانسان بفصله الأخير المؤلف من مجموعة آراء وأفكار وافية فلسفية مستمدة من آراء أفلاطون وباسكال وديكارت، ومحولة باهام كلي الى معان روحية للديانة المسيحية. فهذا الباب مع ما فيه من صحة الرأي وصدق البيان، عديم الشخصية لا يقوم بنفسه ولا يمت الى المؤلف سوى بالتحوير والتبديل، اذا ما هو الا انعكاس لا فكار الغير وظل لآرائهم.

وكان لا بريير نظرياً متأثر عيناه فتخط أنامله. فكلما قربت عوامل الملاحظة من متناول اليد، وبدت للنظر المجرد ظاهرة جليلة، سهل له رؤيتها وتناولها. لانها تبتعد عن الخيال الفكري والتصور النفسي اللذين يعوزانه. فقد كان ينظر فيخط ما يدركه نظره، ويرى فيعبر عما يراه. فهو والحالة هذه أشبه برسام ينقل بريشته ما تبصره عيناه من الأشياء الحسية. لا ما تتصوره مخيلته من الامور المعنوية. فهو شغوف بالحياة ومظاهرها. بغيض لشواذها وعميقها. يجتهد في استخلاص عوائدها العمومية الجليلة واستظهار أخلاقها البادية دون تطلع الى المستترة منها أو الناتجة عنها. فله الظواهر لا البواطن. وما يبدو لا المضمهر منه. ولذا أجاد في

تصوير انسان القرن السابع عشر الذى عاش فيه وعجز عن التعبير عن الانسان فى كل آن ومكان

فهذا النقص فى التعمق الفلسفى وطبع الفنان الذى تستهويه الاشكال وتستهيله الظواهر الحية، قد حولا حقائق كبار المؤلفين المدرسين الى حقائق تصويرية أشبه بالخيال منها بأدور راهنة

الروح السائدة فى الكتاب

لقد انتقد لابرير اخلاق اهل عصره بلواذع الجمل . وقوارص الكلام . وأبدى لهم تأذيه من عوائدهم التى لم ير فيها حسنة . لانها شيدت على اسس النقائص والردائل . وأقيمت على دعم الانانية وحب الذات . فرتب الشرف تشرى لتتخذ ذريعة لعدم دفع الضرائب . والدين صرف عن مجراه وتحولت اجتماعاته الى مناظروحفلات . والأسر تفككت عرى الصلاة بينها . واتخذ الزواج وسيلة للكسب . فضحيت الفتيات على مذبح الاعراض الذاتية والخيلاء الاجتماعية . وحجر عليهم فى الاديرة دون ارادتهن . وجراً لمغنم . والعدالة عرجاء سقيمة لا ترفع ضياء . كثيرة الكلفة طويلة المدى . والانسان بين هذه المساوى . يطلق العنان لميوله مجتنباً الحقائق متبعاً الترهات . لانذاراً بالسفساف لا يرى الحق الا فى جانب فعاله واعماله . ولا يأتى الجلائل الا بانانية تشوه محاسنها وتقلل من قيمتها . وهو يقيد ارادته (بالمودة) ويقتفى اثرها خانعا ذليلاً فى كل ما يأتية سواء أكان فى عوائده أم فى طرق معيشته

وبالاجمال كان لابرير نائراً على النظم الاجتماعية متمرداً على سير الانسانية غاضباً على العوائد حاققاً على الاخلاق . لا يرى فيما حوله غير اكاذيب ومفتريات . وترهات . ومنكرات فحمل على هذه النقائص وابداهها للعيان بشكائها المزرى ومنظرها الممقوت . فاستغلها فلاسفة القرن الثامن عشر ، واتخذوها سلاحاً لتقويض دعائم الحكم القديم الذى سمح بهذه المزريات . فكان لا برير والحالة هذه ، فيلسوفا بالمعنى الذى اطلقه فولتير وديدرو على هذه الكلمة

تبويب الكتاب

لايسعنا ونحن نبدى غث كتاب وقيمته ، الا أن نظهر اسفنا مما نراه فى كتابنا العصريين :

ولا سيما كتاب جرائدنا، من النقص الذي يذهب بمحاسن كتاباتهم مهما سمت بلاغة. وعلت موضوعاً. فجلهم ان لم يكن كلهم لا يحسنون ترتيب افكارهم. وتبويب ما يخطونه. فتبدو نغثات اقلامهم مضطربة مشوشة، متداخلة بعضها ببعض. فيقرأ المرء في آخرها ماسبق ان اطلع عليه في أولها ويرى في وسطها ما مر به في مستهلها فيخرج منها مبلبل. الفكر، لم يعلق في ذهنه منها شيء.

اما اذا اعتنوا بترتيب ما يكتبون وتبويه، قربه من ذهن القارىء. وارسخوه في ذاكرته. فينتهى من القراءة وقد ثبت في مخيلته ما طالعاه دون ان يجهد نفسه في حفظه أو يتعب ذاته في استظهاره

وقد وقع لابرير في هذا الخطأ نفسه فاهمل ترتيب كتابه وتبويه فبدا نقصه ظاهراً جلياً، فثبته محاسنه واقصده جزءاً كبيراً من قيمته. لان الكتاب لم يكن الا مذكرات مأخوذة من الحقائق. فكان المؤلف ينقل ما يراه امامه من مظاهر الانسان المتنوعة دون أن يعمل الفكر لاستخراج دقائن النفس وخوارج القواد. ولما اتم مؤلفه جمع ما دونه وقسمه الى فصول كل كل واحد منها بعنوان وجعل من مجموعها كتاباً.

لانتكر ان ثم بعض الترتيب فهناك مقدمة يبين فيها لابرير عقيدته الادبية، تليها ابواب الكتاب كلها وصفاً وبياناً لمختلف درجات الهيئه الاجتماعية. أولها نغثات الاقلام تليها الكفاءة الشخصية. ويأتى بعدها العالم اجمع محلاً تحليل دقيماً بعوامله المهمة ومشاغله، فباب في النساء. وآخر في قلب الانسان وما يحيش فيه من العواطف المتباينة. والاهواء المتضاربة والمحاذة وما تستوجبه. ثم طبقات الاجتماع من رجال المال والاعمال الى طبقات الاشراف. وبعدها النبوة ووزراء المملكة والملك. وفصلان في الانسان على وجه العموم. والحكم على الظواهر (والمودة) وتحليل بعض العادات، والمنبر والادعياء. غير اننا لانجد في الكتاب تضامناً في أبوابه. ولا ارتباطاً بين فصوله. ولا تسلسلاً في موضوعه. ناهيك بباب الحاكم، الموضوع في وسطه فانه يؤلف تنوء بارزاً لا يتفق مع مضمونه لمخالفته له مبنى « ومعنى ». ولا يصح ان يكون خاتمة ترتاح اليها النفس، وتسكن عندها خواطر القارىء.

مميزات لابرير

لقد ابدينا مواطن الضعف في لابرير من الوجهة البسيكولوجية. واطهرنا مامنى

به من قلة التعمق الفكرى . ولا بد لنا لاتمام بحثنا من ايفائه حقه بابراز مقدرته وكفائه . وما تحلى به من الصفات التى أهله لوضع كتابه :

فلئن خفى عنه ما يجيش فى النفس من عواطف ونزعات لانها مستترة فعينه النقادة لم تفتها رؤية المظاهر الخارجية المنعكسة عنها . فها تتجلى عبقريته التى لا يدانيه فيها احد ، فقد توصل بماله من دقة الملاحظة وقوة الشعور الحسى الى تصوير الانسان المائل امام اعيننا بحيث يتجلى لنا منه الانسان الخفى الذى لا يدركه بصرنا ولا تصل اليه انظارنا فلم تفته فى ذلك ملاحظة مهما دقت وصغرت . فقد أبدى كل شىء فيه بطريقة لطيفة رشيقة تستميل القلوب وتستهوى الافئدة ، فانتقد حديث الانسان ولهجته وحركاته وسكناته وسيره ومشيته وعوائده وطباعه وفعاله واعماله حتى ما يعترى وجهه من تقلصات عصبية وما تخطه عليه يد الزمن من غضون وثنايا .

أبدى كل هذا بوسائل حسية اكثر منها معنوية حتى انها لترسخ فى الذهن دون اجهاد فكر ولا اكداد عقل ، فلم يجد عندما اراد اظهار السرور الذى يخالج قلب المحسن من البر الذى يأتيه سوى تقابل النظرين . نظر فاعل الخير ونظر المحسن اليه ، اللذين يتخاطبان دون ان يستمدا معونة الالسن ومساعدة الشفاه . فقد قال : « ما اشد غبطة المسدى معروفاً واكثر حبوره ، عندما يقع نظره على نظر المسدى اليه . »

وقد اراد فى موضع آخر تصوير شناعة الاغتياب ، وابداء فظاعة هذا الفعل . لا سيما وان اكثر الناس ينهون عما يفعله غيرهم ويقعون فيما عابوه على سواهم . فلم يجد غير عجوز متبرجة واقفة امام المرأة تزجج حاجبيها وتكحل عينيها وتحمر خديها وتضع على محياها نقط الحسن ، بينما هى تعيب على مثيلاتها وعلى غيرهن هذا الصنيع

فلو عمد لا بريير الى فصاحة التعبير وسحر البيان واتى بالمعجز الموزج من الكلم أكان بوسعه ان يظهر لنا دمامة الاغتياب وقبح التعرض لاعمال الغير بصورة اكثر حياة وبشكل اشد وضوحاً واكثر تقريباً للذهن من هذا الشكل ؟

نظن بل نؤكد ان كل وصف مهما سما وعلا ، يقف حاسراً كليلاً امام هذا التعبير الحسى ، حتى انا عند ما قرأناه ظللنا برهة نستمتع فى ذهننا ونستنوقه فى عقلنا ، مرددين مثلنا العربى القائل : « رب اشارة ابلغ من عبارة »

لقد صور لا بريراشخاصه بالوان تزهو كلما طال عليهما القدم حتي ان الواحد منهم ليدو امام القارىء كأنه حى يأتي أفعاله ويقوم بأعماله . وهذه ناحية من نواحي نبوغه . لاننا نقرأ كتابه فيخيل لنا ازاء ما نراه من قوة التعبير ودقه النظر وبعد الملاحظة الذى يأخذ علينا مشاعرنا ويستأثر بافتدنا ان المؤلف لم ينقل عن أشخاص ما يدور من مظاهرهم الخارجية، بل تبطن الى عواطفهم فلستخرج دقاتها . وساخ فى أعماق النفس البشرية فابدى مكنوناتها

وزرى أن أتى بمختارات من كتابه (الاخلاق) ليلم القارى بنفثاته كما ألم بصفاته ويميزاته قال فى باب «القلب» : الغبطة والحسد نقيضان ، لكنهما يناز لان خصما واحدا وهو أهلية الغير واستحقاقهم الشخصى ، أو ما فى أيديهم من متاع الدنيا ، فالاول عاطفة اختيارية شريفة ، صادرة عن خلوص نية وصفاء طوية ، تجعل النفس فرحة خصبة بما تقدمه لها من مثال تقتدى به وتنسج على منواله ، فتسموبها فى سماء تجعلها اعلى وارفع من الشئ الذى تغبطه

والثانى حركة عنيفة ، اشبه باقرار اجبارى باهلية وكفاءة بعيدتين عن نفس الحاسد فتذهب به الى نكران الفضيلة التى بهرته ، حتى اذا لم يجد بدأمن التعمويه بها ، جردها من كل استحقاق ممسكا عنها المديح والثناء الواجبين لها

وقال فى باب «الادعياء» : ولد الانسان ميازا كذابا ، وهبطت الحقيقة من السماء يبيهاها وكألها طاهرة نقية ، فلم تعرف به لاختلافها عنه مبدأ ومرمى فهو نزوع الى زخرف القول مهما بعد عن الحق ، وهى تواقه الى الصدق فى الجوهر مهما آذت المبادهة بصحة الواقع ، والمرء انانى بالذات لا يحب إلا صنع يديه ، فهو ميل الى كل فرية ، معجب بكل كذب ، اذا حدث لفق ، واذا قص امعن فى المين ، واذا سرد واقعة حال اسرف فى الزيادة ، فحياته الاجتماعية ، وصلاته الانسانية ومعاملته المدنية رياء ونفاق ومين واختلاق

تجرى حادثة بسمعنا وبصرنا ، فيقصها اناس عديدون شاهدها بأب عيونهم فلا يتفق اثنان فى الالام بعرضها لاجوهرها ، فاذا كان هذا شأنا فيما يجرى بين ظهرانينا فماذا يكون أمرنا فى الحوادث التاريخية التى جرت فى السنين الخوالى ؟ فهل ثقب بروتاتما

وهل نعتقد بصحة كتب التاريخ التي دونها بشر مثلنا لهم نزعات مثل نزعاتنا واناية مثل أنانيتنا، وميل طبيعي الى الاغراق والمبالغة، ومسوخ الحقائق وتشويه ماجريات الاحوال؟

وقال في باب الحاكم والجمهورية: يجب على السياسي القدير، الذي يعالج أمور الدولة ان يكون شديد التسلط على عواطفه، نجاحا لما يجيش في نفسه كتما لذات صدره لا ينم ظاهره عما يخفيه باطنه، فيكون والحالة هذه كاللاعب الماهر الذي لا يتجهم وجهه اذا خسر، ولا تهش اساريه اذا كسب، لكي لا ترسم دخائله على صفحة محياه، فيحزرنده ما يضر فؤاده، فيستغله لنفسه، ويحزرن الغلبة عليه

ويجب أن يكون عليا بطرق الإدارة، فيبعد نظر من يساجله عما تهتم به نفسه، مبديا عدم اكتراث بما يبغيه ويصبو اليه، ومقبلا بكلية على ما يرغب عنه؛ كأنه لا يروم عنه بدلا، حتى اذا انس خصمه منه ميلا الى أمر تمنع عن انالته اياه، عارضا عليه ما طالما رنا هو اليه في قلبه، فيفوز بمناءه على اهون سبيل

وعليه ان يتحرز جهده طاقته من الثثرة، التي قد تسوق صاحبها في أكثر الاحيان الى الزلق، فيزل لسانه بما يريد ان يضره جنانه، فيؤء بخيبة المنى، وفشل الاماني

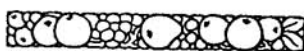
ولا نريد بذلك ان يكون عيا فيمسك عن الكلام رهبة وخشية، بل نروم منه اذا شام في ذاته ضعفا، ازاء من ينازله، ان يحجم عن الاسترسال، ويلزم السكينة في هبة ووقار، مظهرا بسكوته مقدرة على مقارعة من يساميه، فيقن هذا بانه تجاه امرى، يزن كلامه، ولا يلقيه على عواهنه. فيستشعر منه رهبة قد تحمله على التراخي في أموره، وعدم الاستمسك بما آتى ليناضل عنه

وأما اذا كان منازل أخرق أرعن، حمل سكوته على تحمل العي والضعف فتمتلي جوانحه كبرا وتنتفخ اوداجه زهوا، فيتبسط في حديثه، حتى اذا استفرغ ماعنده، عرف هو ما يريد معرفته من قرآن اقواله فيرد عليه بما يدحض حججه، ويفند براهينه. وقال في باب المحادثة: اذا ضحكك مجلس، فروح المحادثة يتطلب ان لا تستأثر بالحديث مهما أوتيت من زلاقة لسان وفصاحة بيان، بل تترك الوقت لغيرك ليبدوا آراءهم ويعبروا عما في نفوسهم. لان من يخرج من حديثك مشرحة الصدر قرير العين

بما ابداه من مقدرة كلامية وكفاءة خطائية، يغادر ك وفي نفسه منك مثل ما به من ذاته. لان الانسان لا يحب الاعجاب بالغير قدر ما يحب ان يعجب الغير به ويفضل ان يستعذب حديثه وتستذاق خفة روحه على ان يتعلم منك يأخذ عنك. ولذا فان اللذة اللطيفة التي تسمو بالنفس، هي في جلب السرور للغير وادخال الهناء الى قلوبهم دون ان يشعروا بمنة منان أو بفضل مسد

هذا غيض من فيض من هذا الكتاب القيم الذي لو نقل الى العربية لكان جليل الفائدة عميم النفع

ويا حبذا لو عنت به وزارة المعارف وكلفت بترجمته كاتباً قديراً سلس العبارة رشيق الاسلوب، وقررت تدريسه في مدارسها فانها تفيد الناشئة افادة عظيمة
نصيف جورجى نيقولاوس
مصر



اطلب من دار العصور للطبع والنشر
ومن جميع المكاتب المعروفة

ماتخ الفكر العربى

فى نسوة وظوره بالترجمة والنقل عن الحضارة اليونانية

قطرات الندى

صبي

وحبٌ تجلّى في سماء قداسةٍ كوحى — من الرحمن يبعثه فينا
يبارك قلبينا ، ينتقى شعورنا وفي كل أوقات الصفاء يوافينا

ويُلقي علينا من على سماءه مزاميرَ تسمو في الغرام كقرآنٍ
فنحفظها ظهراً لقلبٍ كأنها مواعيدنا لا تستظل بنسيانٍ

وتغمرنا في ساعة الحلم لذّة كما يغمر الأكوان بدرُ تمامٍ
نظلُّ بها سكرى كأن شعورنا مفارقنا ، أو أننا جِدُّ نوامٍ

تشاركني حسنات الحب مثلاً تشارك روح المرء إحساسه العالى
فتسمو به نحو السماء ، وإننا لنسمو الى أفقٍ يفيض بآمالٍ

كذلك تُملئنى الجمال قصيدةً يحلُّ بها شعرى كاجلال (إحسان)
تفيض بمعنى تلو معنى كأنه تبسم غدير ، أو لحاظ حسانٍ

وما الشعر إلا ما يفيض شعورنا به خالياً من كل قيدٍ وأغلالٍ

وما الشعرُ إلا ما يُضيءُ قلوبنا ويملاها في اليأس نورَ جمالِ

وتقطف لي من حسننها كلَّ زهرة تفوح عبيراً يفتقُ الكَمَّ عن زهرِ
وتسحرني من نغمِ ألفاظها التي تفيضُ موسيقى ليس توجد في الشعرِ

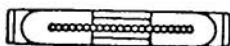
وتسألني عن كل ما تلتقي به كأنني خبيرٌ بالوجودِ عليمٌ
ولكنني مُستلهمٌ من جمالها فالتقي جوابي فهو بعدُ حكيمٌ

فيأذ كريات الحبِّ إن طال بيننا بماذُ نخلُ العهدِ جدَّ جديدِ
ولا تحسبنَ البينَ ينزعُ — والذي بُميتُ ويحيى — ما مَنَّمتهُ عهدِي

وإني برغم اليأسِ بحمله إلى فؤادي حديث القوم عن هدمِ آمالي
سأبقى على ما كنتُ في الحبِّ مخلصاً وإن كنتُ تنسينَ العهدَ بآمالِ

فسيبقى غرامي كالجمالِ مسطراً على وجهِ حسناء استعطل بها العمرُ
تحاول أيدى الدهرِ محوَ سطوره ولكنها ترند لا ينمحي السطرُ

من كابل القصر في



النزيرة

(في النظريات الحديثة)

وهي خطبة ألقاها على رهنط من اساتذة المدارس في بغداد الاستاذ عبد الله بك الحاج معاون رئيس الديوان الملكي ببلاط بغداد والمحاضر في جامعة آل البيت في العاصمة العراقية في على البسيكولوجيا والبيدغوجيا وخريج جامعة كولومبيا في نيويورك

اقدمت على هذا الموضوع والبحث فيه، لاعتقاداً مني بسهولته وقلة أهميته، ولا مغالاة في اقتداري على معالجته معالجة تامة . بل تقديراً لما له من الخطورة في تكوين الامم ومعالجة المشاكل الاجتماعية، وما له من التأثير في تكييف التمدين البشري . وستلاحظون في اثناء البحث جهات الحياة المتعددة ، التي يتناولها هذا الموضوع والتي يحتاج كل منها قائماً بذاته ، الى بحث مستفيض .

فراعاة لهذه الحالة نويت أن أعرض عليكم بصورة موجزة نظرية جديدة في التربية وصورة عملية التربية بشكل يريكم حصولها ويريكم تداخل العوامل والقوى التي تؤثر في حقل التربية ، و بيان عام موجز عن حالة التربية في هذا القطر . فإذا نجحت فتلك غايتي، وإذا فشلت ، فسوف لا يكون ذلك أول وآخر اختباراتي في الحياة . فقد فشلت كثيراً قبل الآن وكثيراً ما سأفشل من بعد ذلك .

أما الطريقة التي اتبعتها في معالجة الموضوع فهي شرح وتفصيل ما اختبرته في حياتي في البيت كولد وفي المدرسة كطالب ومعلم ، وخارج المدرسة كشاب ورجل في ميادين الحياة الأخرى، وما بقي في نفسي من أثر لهذه الاختبارات وما علق بذهني من افكار وآراء لعلني في المدارس، والكتاب والمؤلفين في الكتب ، وما وصلت اليه حتى الآن من نتيجة في حياتي ، وما أهتم به من الامور لمتابعة سيرى في الحياة على أساس التربية والنمو والتشبع الدائم في هذه السبيل . غير اني لا ادعي ألبتة العصمة في قولي وآرائي كما وانني لا اضع المسؤولية على أحد فيما سأقوم ببيانه لكم . بل أرجو منكم أن تعدوني المسئول عن علي الآن ان كان ذلك صواباً أو خطأ، واذالم يرق لكم قولي فلا تقيدوا به وقولوا رجلاً قال .

التربية ومعناها التنمية والتقوية والاحياء ، و من معانيها أيضا التهذيب والتشذيب وهذا يتضمن الاضعاف والاماتة والاتلاف

ثلاثة رجال في العراق الواحد يربي نوعا من الحنطة لسوق لندن والثاني يربي نوعا من الخيل لسباقات الهند ، والثالث يربي مجموعا من الاولاد لخدمة الوطن . ان كلامنا هؤلاء الرجال الثلاثة هو مرب ويجابه مسائل تربوية متشابهة من حيث الاساس ؛ ومتباينة من حيث الغاية . فالاولى منها ان تعين الطلب على صفات معينة في الحنطة والخيل والرجال ، الاولى لسوق لندن ، والثانية لسباقات الهند . والاخرون لخدمة العراق ، ويحتم على كل من اولئك المربين الثلاثة وضع مناهج معينة لحياة هذه المواد وتربيتها ، من شأنها ان تضمن الى درجة قصوى انتاج تلك الصفات المطلوبة . ومنها ان كلامهم عليه ان يسير في مباشرة عمله على طريقة ، وبموجب اصول ومبادئ تربوية واحدة متكررة في اعمال كل واحد منهم . ومنها انه بالرغم من وضع المناهج واتباع الاصول فكثيرا ما نرى المربين يفشلون في انتاج الشيء المطلوب . ان معالجة هذه النقط الثلاث اى وضع المنهج والسير بموجب اصول معينة والفشل في انتاج الصفات المطلوبة ، تؤلف قسما مهما من موضوع التربية

اما الثانية ، أى التباين من حيث الغاية في تربية النبات والحيوان من جهة ، وتربية الانسان من جهة اخرى ، فهى انا نربي الاولين كواسطة لسد حاجات المجتمع من ذون أن يكون لنا من تربيتهم غاية سوى ذلك بينما نحن مع اتنا نربي الانسان للقيام بحاجات المجتمع - والانسان لا يفرق من هذه الجهة عن النبات والحيوان - فأنا فوق ذلك نريه لغايات أخرى كانت منذ القديم مدار بحث الفلاسفة والمفكرين والانبياء ورجال السياسة والتشريع وقادة الامم وإهتمامهم ، حتى ان الانبياء والفلاسفة هبوا الى تحليل بدء الخليقة وما بعد الموت للبحث والتفكير في معالجة هذه الغايات وتعيينها ، وعلى اسس فلسفة هذه المباحث قامت المذنيات الغابرة والحاضرة ، اذ ان التمدن في رأيي هو اجتهاد في الجواب عن ماهية الحياة وغايتها وكيفية العمل في سبيلها هذه - وهذا بذاته يعنى التربية بمعناها الواسع . لقد كانت التربية الى اليوم واسطة لتحقيق غايات مقرررة في الحياة . اما الآن فأنا نرى اتجاها جديدا في تفسير معنى التربية والحياة وغايتها ، واصبحت التربية في رأي البعض من فلاسفة هذا العصر غاية بذاتها ، لا واسطة

لغايات أخرى خارجية، وانها والحياة شئ واحد لا يمكن الفصل بينهما. وهذا التطور منشؤه الانقلاب الفكرى الحديث فى بعض جهات التفكير التى منها (اولا) التحول من الاعتقاد بأن الحياة غايتها فى يد قوة خارجة عن هذا الكون حكيمة مدبر تشرف على اعمال البشر، الى الاعتقاد بأن الحياة غايتها فى ذاتها ليس الا (وثانيا) الانقلاب من ان مصدر الحكمة هو الوحي والتصور، الى أنه الملاحظة والاستقراء والاختيار، و(ثالثا) الانتقال من الاعتقاد بأن الخير والشرازيلان فى الاشياء وفى الحياة، الى أن الاشياء تصلح وتفسد بالاستعمال، وان الحياة تحسن وتفسد بالوسائل.

إن البحث فى فلسفة النظرية الجديدة التى تدور حول علاقة التربية بالحياة وغايتها وما يترتب عليها من الانقلابات فى الحياة الاجتماعية كافة دقيق جدا، يؤلف اليوم اعظم مشكلة فى ميدان التربية. وضيق المقام يضطرني الى التخلي عن الافاضة فى نقطة المتعددة ونقدها. غير انه يجدر بي ان استعرض امامكم بعض القضايا الرئيسية فى هذا المضمار. يقال: اولاً:

إن سوء فهم الحياة ادى الى سوء فهم التربية، وعلى ذلك ساءت الحياة وفسدت المدنيات الغابرة وانقرضت

٢- ان ما وصل اليه الان من المؤسسات الاجتماعية عن طريق الوراثة معظمه مبنى على سوء فهم الحياة ونتيجة ذلك سوء التربية. وان تمددنا الحاضر للاحالة هو بسبب ذلك

٣- ان طريق الخلاص من النتائج السيئة التى تحتتمها علينا مدينتنا الحاضرة هو حسن التربية ضمن حدود الاعتبار - والعمل بموجبه - بأن الانسان قبل كل شئ* وفوق كل شئ*، مقدس لا يجوز التصرف فيه كما تتصرف فى الحيوان والنبات، او وضع قيمة استثمارية لحياته وتربيته اللتين هما غاية واحدة متلازمة تخضع لها كافة الغايات والاعتبارات الأخرى على اطلاق القول.

ان الطبيعة بذاتها لا تعقل، وليس لها أى نظام ادبى او غاية معنوية، بل هى فوضى. وان كل ما نستطيع عمله هو ان نكتشف طرق عملها ونتائج تأثيرها، ونقتبس منها ذلك، ونسخر مظهر لنا منها وعلم لدينا، لاكتشاف وتسخير ما لم يظهر بعد وما هو مجهول. أما النظم والغايات فهى من عملنا ووضعنا.

هذه بعض القضايا الرئيسية في بحث الترية اليوم، وإن نظرة واحدة الى مؤسساتنا الاجتماعية التي نعيش في ظلها، تكفي لاقتناعنا بحقيقة وجود هذه القضايا وان الفساد المتشعبة به نظم هذه المؤسسات، ومانعنا من المشاق بسبب ذلك في سبيل الحصول على الشيء اليسير من الراحة، يحملنا على الميل الى الاعتقاد بصحة تلك الدعاوى إن المدنية الحاضرة تهادت الى حديد في الاساءة الى الغاية من حياة الانسان وتربيته. وأيقنوا بأن مانعنا نحن من فساد الحياة والترية من هذه الجهة في هذه البلاد، يشاركنا فيه كافة البشر في البلاد الاخرى. ولا يغرنكم تباين الاشكال والصور. فاليكم المؤسسات التي تستعبد الانسان وتستغله كالحيوان وتدفع عن هذا الاستعباد والاستغلال بالدعايات المتنوعة وبالسلح. واليكم الاخبار التي تنقلها لنا الصحف عما يجري يوميا على هذه الارض من المزاومة والسباق والغلو في تعزيز كيان المؤسسات المهلكة المدمرة أكثر من تعزيزها المؤسسات التي من شأنها التأمين على حياة الانسان وضمان نموها، وهاكم التشكيلات العالمية الحاضرة التي معظمها يستند الى فلسفة فاسدة في تفسير التاريخ، دفاعاً عن تلك المؤسسات وعلى فلسفة علمية مغلوطة في تفسير النمو والارتقاء، تبرير لذلك السباق والغلو. واليكم الاعتقاد بصحة وقدسية التقاليد الموروثة في الدين والدولة والاعتقاد ببقاء الانسب، اللذين يحملان بذور الفساد والشرف في هذه المدنية التي لايسهل فيها على احد مطلقا تعيين أى التقاليد اصح، أو تعيين من هو الانسب بعد التسليم بقدسية تلك الاعتقادات. هبوا انه حصل خلاف كما هو حاصل على الدوام — على تعيين ذلك، فكيف نحله ياترى في هذا العصر؟ واذا سئلنا عما اذا كان في إمكان هذه التقاليد ولهذا الانسب، قوة يستند اليها غير السلح والغش في استمرار بقائه، فماذا يكون الجواب؟

لاشك في أن الحرب العالمية الاخيرة وماتج عنها من مسائل عالمية، كشفت ستر الرياء الذي كان يغطي تبجح العالم الحاضر بمدنيته - واتم ادري بما كان للتصديق بذلك التبجح من العواقب. هذا ولا تظنوا أن « حليلة » قد غيرت عاداتها بعد الحرب. فاليكم المؤتمرات الآخذة بالانعقاد في اوربا حول تحديد السلح او بالحرى تحديد الشر، او التي بحسب الظاهر، تدل على تطور في اخلاق « حليلة » غير ان النتائج لا تتقدم لاسباب. ذلك محال الا في عالم المعجزات، وعلينا أن لانصدق الدعايات المنظمة لخدمتنا على الانخداع

يمثل هذه المظاهر قبل أن تتأكد من أن مناهج التربية في العالم قد اخذت في الاعتدال والاتجاه نحو الغاية التي تدعى أنها تسعى لتحقيقها . فبالنظر الى حالة المدينة الحاضرة واوضاعها واشكالها ومؤسساتها ، وذلك في السياسة والدين والصناعة والتجارة والزراعة والتشريع والعقائد والتقاليد والآداب والاخلاق وفي الانتاج والتوزيع والاستهلاك وفي الضرائب ، وبمقتضى رغبة الانسان في اصلاح شأن المعيشة والحياة في ميادين العمل كافة ، لا يسعنا الا التسليم بأننا على اساس مناهج التربية المبنية على ان الحياة في الانسان كما هي مقدسة في الواحد كذلك هي في الآخر مقدسة فوق كل مقدس ، وأن غايتها الاستمرار على النمو المطرد من الحسن الى الاحسن والافضل والاغنى وبتهيئة الوسائط لتحقيق ذلك نستطيع ان نصلح مؤسساتنا ، ونعدل أوضاعنا ونشيد هنا وعلى هذه الارض المدنية والطوبى ، التي ستكون مع شيء من التعديل ، كجنة الآخرة او كملكوت السماوات . وعليان نطالب القوى بأن يبدأ على هذا الاساس في تربية امته قبل الضعيف الذي قد سلم بهذه القضية بحكم الضرورة

ربما يميل البعض الى الاعتراض على هذا الرأي وينتقده من حيث هو عبارة عن صورة تستند الى التمني والخيال ، ويقول أن لدينا من المسائل القرية والمستعجلة ما يتطلب المعالجة والحل اليوم وغداً ، واننا مقيدون بمناهج في مدارسنا وقوانين في البلاد واوضاع عالمية قاهرة مسيطرة ، لا غنى لنا عن اتباعها ومراجعتها ، لا فرق بين ان نعتقد بصوابها او بخطئها ، وربما يتسرب اليأس والقنوط الى البعض على اثر ادراكه مهمة الاصلاح العظيمة في التربية التي تدعونا اليها تلك النظرية في الحياة . غير انه لم يفتني اعتبار مثل هذا الانتقاد . ولم اقصد أن اميل بالقراء الى ترك المسائل القرية والمستعجلة ولا نويت ان اوهم ليأسوا ، بل قصدى هو ان تبينوا هذه النظرية وعلى ضوءها انظروا في أعمالكم اليومية ، وفي وسائط الحياة التي بأيديكم والى الكتب والاخبار التي تظالعونها لاعتقادى بأن ذلك مما يقرب اليكم فهم التربية ، ويخفف عليكم عبء الحياة ، بأدراك غايتها منكم ، وفي الغير ممن لهم اتصال بكم ، لا كمدربين ومعلمين لا غير ، بل كأبناء وأخوان واصدقاء .

عملية التربية

يقول علماء الطبيعة

لا فراغ في الطبيعة . وانا اعتقد ان لا توقف في الحياة ، وان اى عمل كان من أعمال الانسان ، لافرق بين ان يكون داخلها في نفسه أو خارجها في البيئة ، له اثره في حياة الانسان ، لدى معاناة هذا اياه فيها ، وبعد ذلك . وهذا الاثر في اثناء حدوثه ، ينشئ مظهرا تربويا في حالة التكوين . اما بعد التكوين ، فيصبح عاملا تربويا في الاعمال التالية . هكذا نرى ان التربية تستوعب الحياة ، وهى جارية ما زالت الحياة جارية . لينظر كل منا في تاريخ حياته ويستقرى الحوادث التى مرت عليه ، والاختبارات التى حصلت له منها وليتصّر الى العوامل المباشرة وغير المباشرة القريبة والبعيدة التى اثرت في تربيته وصيرته فلانا مدرسا أو معلما الآن ، وليحكم بعدها في ما إذا كان في استطاعته حصر تلك الحوادث ، وتعيين أثرها في تربيته وحياته واحصاء تلك العوامل وحصر نتائجها في تكيف اخلاقه وطباعه واقتداره وذكاؤه الخ . . فاذا كان في استطاعتنا ذلك ، ففي استطاعتنا اذن الجواب على عملية التربية وكيفية حصولها ، وبذلك نجيب على أعظم سؤال في التربية والحياة معا

هذا واذا كان من الصعب علينا استقراء تاريخ حياتنا للجواب على كيفية تربيتنا ، فأطلب اليكم ان تفكروا في كيف نربي الآن ، ولنجرب طريقا سهلا ليحل الآن كل منكم وعيه من قيد الانتباه الى البحث الذى نحن بصدده ، ولترك ذاته على سجيته لحظة من الزمن ، تنصرف الى حيث نشاء من التكثير والاهتمام ، ثم عودوا وافكروا بما جال في رؤوسكم من الأفكار ، والى اين اتجه همكم ، واسألوا همكم لماذا فكرتم واهتمتم ببعض الامور دون سواها . فاذا يكون الجواب ؟ ان الامور التى تشغل أفكارنا واهتمامنا الآن قبل غيرها ، تعمل في تربيتنا الآن اكثر من غيرها . كذلك الاعمال التى سنقوم بها بعد ساعة وبعد يوم ، ستعمل في تربيتنا أيضا . فأعمالنا اليومية والنتائج التى نحصل عليها بنتيجة التفكير والاهتمام والعمل ، هى عوامل التربية . فتحديد معنى التربية اذن هو أنها نتيجة (كيفية) الحياة التى يختبرها الانسان من لحظة الى لحظة على الدوام وبلا انقطاع .

اذا سئل أحدكم اهو ابن امه أم ابن أبيه ، فالجواب العلمي يكون انه ابن الاثنين ، وان جميع مائديه من الصفات الموروثة هى نتيجة لعملية زواج والديه . كذلك ماهية شخص ما من حيث الذكاء والعلم والاخلاق ، الخ هى نتيجة لعملية اختبار هذا الشخص

شؤون الحياة التي عاناها منذ ولد في هذه الدنيا ، وربما من قبل ذلك ، الى أن يموت .
 هكذا نجد أن حدود التربية ممتدة من حيث الزمن مدة الحياة على سطح الارض ومن
 حيث الكيان هي الانسان وكل ما يتصل به بالاختبار . ونرى أن عوامها لا تنحصر
 في المعلم ولا في المدرسة ، بل أنها كائنة في كل مكان يتصل به الانسان وموجودة في كل
 شيء مدني يستخدمه البشر في حياتهم المدنية من وسائل مادية كالسيارات مثلاً ، وأموار
 معنوية كالاعتقاد بالله . كذلك هي حاصلة في حياة الانسان على الدوام وأمرها واقع
 لا محالة ، شئنا أم لم نشأ ولا فرق بين أن نهتم بها ونسقط على عوامها ونحسن شأنها ، وبين تركها
 للقوضى ، ونسيء فهمها ونفسدها ، وبذلك نفسد الحياة ونجعلها عبثاً ثقيلاً علينا فحد التربية الحياة
 التربوية في العراق

أن تجارب البشر هنا وهناك ، واختباراتهم ، أثبتت أن للمدرسة اثر اقوياجدا في
 المجتمع والآراء الحديثة في التربية والسياسة والاجتماع ، على أن المدرسة تكون افضل
 واسطة لتربية الامة . غير أن هذا البيان يعنى ايضا ان المدرسة تكون افعل واسطة لسوء
 استعمال التربية وفساد المجتمع . والاختلاف كبير في النظريات حول كيفية تأسيس
 المدارس ودور التربية ما بين رجال التربية انفسهم من جهة ، وما بين هؤلاء وبين رجال
 السلطة في الحكومة والدين والصناعة والتجارة وغير ذلك من المؤسسات الاجتماعية
 كالبيت والعائلة وغيرهم من جهة ثانية . والخلاف واسع جدا ومستحكم في الاشكال .
 فالبعض يقول بأن المدرسة والمدرس هما مبدأ الإصلاح وعليهما تقع مسئولية ،
 والبعض يقول بأن التشريع هو مبدأ ذلك ، وأن رجال السلطة في الحكومة هم
 المسؤولون . اما اذا قلنا إن المسؤولية تقع على الجميع ، وأن لافرق بين ان نبدأ من هذه
 الجهة أو من تلك ، على ان نبدأ بشرط ان لا يقاوم احد هذين الفريقين الآخر ، بل
 يساعده ويعضده ، فيكون قولنا اقرب الى الصواب وادعى للعمل واصح حجة على القعدين
 والسفطائيين .

يقال ان الخلاف الاول الذي حصل حول مهمة المدارس وقع ما بين الفيلسوف
 العظيم « سقراط » والفيلسوف النبيل « افلاطون » لما كان هذا يكتب « جمهوريته » .
 قال افلاطون لاساتذه انه اذا أردنا اصلاح المجتمع فعلينا أن نؤسس مجتمعا تحكم فيه
 فلاسفة . فسأله سقراط . من اين تأتي بهم ؟ فأجابه نعلمهم . فابتسم سقراط و كان في

ابتسامته الجواب الكافي الذى مفاده اننا متى علمنا الانسان الفلسفة ، نكون بذلك قد قضينا عليه كفيلاسوف . وهكذا نجد الخلاف فى هذا الشأن واقعا الآن ما بين رجال التربية فى الاقطار المختلفة ، كما وانه واقع فى هذا القطر ما بين الرجال المسئولين . فمسألة تربية الاولاد لخدمة البلاد اذن ، مسألة فيها نظر .

ذكرت فى مبدأ البحث أن على المربي أن يسير ضمن منهج بمقتضى طريقة وأصول معينة ، وانه بالرغم من ذلك كثيراً ما يفشل فى انتاج الصفات المطلوبة . فلنأخذ مسألة الفشل قبل البحث فى المنهج والاصول ، ولنحصر كلامنا فى ما يصيب تربية الانسان منها

لو نظرنا فى حالات الفشل التى تحصل عادة ، ليس فى ميدان التربية لا غير ، بل فى جميع ميادين الحياة الاخرى ، لوجدنا أن هناك عدة عوامل رئيسية أساسها واحد ، وأنه منشأ حالات الفشل كافة . منها ايجاد الأمل فىنا بالحصول على شئ فى جهة معينة حيث لا مبرر لهذا الأمل ضمن مقدور تلك الجهة ، أى حبنا للسحر وتعلقنا بالمعجزات . ومنها تمردنا المستمر على الطبيعة ، وعدم اعترافنا بالأمور الراهنة ، وسعينا المستمر لوضع قوانين ثابتة لعالم متطور متبدل . ومنها عدم افساحنا المجال للأشياء المجهولة ، كى تلعب دورها فى النتائج التى نسعى لتحقيقها . أما الأساس فهو الغطرسة أو الكبرياء ، التى هى بنت الجهل . فلو اقتصرنا فى تربيتنا الاولاد لخدمة الوطن على المقدورات التى هى قيد التحقيق ، وتركنا المسكبرة والتردد على الحقائق ، لضمننا بالفعل خدمة الوطن الى حد بعيد ، ولتجنبنا الفشل فى كثير من الحالات

ان خدمة الوطن ليست بالشئ البعيد عن الاختبار اليومى ؛ والوطن هو أتم ومصالحكم فى البيت وفى السوق وفى الحقول وفى الوظيفة وفى الطبيعة والجغرافية والفن ، وعلى الجملة فى كل ميادين الحياة وشئوننا التى تعانونها يومياً . كذلك هو أجسامكم وعلمكم وأخلاقكم ومهارتكم وثروتكم الى غير ذلك . وخدمة الوطن الوطن هى خدمة ذلك كله . والمسألة الجوهرية فى الموضوع هى كيفية الحصول على تربية الامة لتحقيق تلك الخدمة . غير أنه من المحتم علينا تعيين الداء قبل وصف الدواء . وإنما فصل الخطاب هو عملية المداواة

لقد أجمعت آراء المفكرين فى هذا القطر على أن التربية

القومية التي ورثناها من العصر الغابر ، سيئة وعاجزة عن تعهد القيام بشؤون مصالح
الامة حسبما يتطلبه منها الوضع في هذا العصر الحديث . والصحف المحلية وكذلك
الآراء هنا وهناك ، آخذة في التدليل على القصور والعجز في قيامنا بالشؤون ومعالجة
الامور . فالاحساس بالنقص موجود ، والتفكير في شأنه موجود ايضا . غير ان
الاحساس بالمرض ومؤاساة المريض بالكلام والندب والبكاء ، حتى ولا العلاج ،
كل ذلك بكاف وحده . وزيادة على ذلك فان هناك الخطر الاعظم على المريض من التدجيل
ان معالجة المشكلات في هذا العصر قد توصلت الى حد يضمن النجاح لدرجة ما .
وذلك عن طريق توزيع العمل بموجب الاختصاص . فالسلطة المسؤولة عن الاصلاح
تدعو لجنة اختصاصية وتعهد اليها بدراسة الحالة التي تنوى معالجتها وهذه اللجنة تقوم
بكشف عام عن تلك الحالة وترسمها رسمًا دقيقًا يبين وقائعها ، وتبين كيفية توصلها الى
رسم هذه الوقائع ، ثم تدعو لجنة ثانية تعرض عليها ما توصلت اليه اللجنة الاولى ، فاذا
وافقت ، هذه على صحة عمل تلك ، كان بها ، والا فيعاد الكشف الى أن تقرّر صحة الكشف
الى درجة قريبة من الخطأ أو الصواب . ثم بعد هذا تدعو السلطة المسؤولة لجنة اختصاصية
لوصف العلاج . فتقوم هذه بشرح اسباب الحالة التي تشتمل على وقائع الحال وتصف العلاج
وطريقة المعالجة ، ثم تدعو لجنة اختصاصية اخرى وتعرض عليها مقررات اللجنة الاولى
لتدقق في صحة هذه المقررات الى درجة قريبة من الخطأ أو الصواب ، واخيرًا تقوم السلطة
بتهيئة ما يلزم بناء على تلك المساعي ، وتشرع في التطبيق . وكذلك عليها أن تقوم على الدوام
باستشارة تلك اللجان واطلاعها على عملها ومن الخطأ البالغ المؤدى الى الفشل حتما أن
تتصور السلطة أن في وسعها معالجة الاصلاح من غير درس وجمع الحقائق عن وقائع الحال
فلو اتخذنا هذه الطريقة أساسا لفحص طريقة معالجتنا تربية الاولاد لخدمة الوطن ،
فماذا يكون الجواب ؟ أين البيان المدقق الذي يطلعنا على المسائل التي نحتاج الى معالجتها
في تربية الاولاد . وما هي هذه المسائل يا ترى ؟ وما هي طرق الحل المنقحة المطلوب
مننا اتباعها ؟

إن تربية الامم لا تقوم باتباع طريقة الاوامر والنواهي ، وطريقة الكيف . كذلك
لا يجوز لاحدنا مطلقا أن يتصور أنه بذاته يستطيع أن يفكر بجد أن في مقدوره القيام بوضع
منهج لتربية الامة من دون أن يستعين بغيره من رجال التجارة والصناعة والزراعة وباقي

المؤسسات التي تؤلف حياة المجتمع . اني لا انكر أن هناك جهود كثيرة تبذل في معالجة تربية الامة من نواح مختلفة ، لكن هل هذه الجهود ياترى منظمة وموحدة ، وهل هي مستندة إلى حاجات البلاد؟ هل لدينا دائرة اختصاصية تكشف لنا عما اذا كان ماتوصلت اليه هذه الجهود صحيحا ومفيدا ؟ ذلك مالا يسعني الجواب عنه .

والآن دعونا ننظر إلى ما يخص المعلمين من هذا الموضوع ، و نلقى نظرة على مدارسنا : يقال إن العالم هو المدرسة الكبرى . وانا اعتقد أن المدرسة هي العالم الصغير النامي والعالم الاختباري للنشء الجديد الذي سيدخل المجتمع شيئا فشيئا ويشارك في شؤونه تدريجا ، والذي هو في الاخير وريثنا في الاعمال التي بايدينا الآن . فيشترط في المدرسة أن تكون صورة طبيعية للمجتمع الذي تمنى أن نحله محل مجتمعا الحالى ، بمعنى أن تكون المدرسة نسخة حقيقية مصغرة للحياة المعدلة بمقتضى تلك الصورة ، حتى اذا ما اختبرها النشء الجديد وتربى عليها ، ثم خرج إلى العالم الاوسع . يكون عندئذ في مقدوره تحسين المجتمع الحالى . أما أن تكون المدارس محلا لما يسمونه بالدرل (Drill) (على وتيرة واحدة) ولدرس النظريات والدعايات ، فذلك ادعى للفشل وخيبة الامل . ان لفظة طالب في اللغة العربية تعنى أنه يطلب أو الحياة فيه تطلب وتطلب ، واعتقد أن هذه اللفظة افصح تعبير لمساهما في فكرة التربية . فالولد في المدرسة طالب والمدرسة والمعلم والمنهج والدائرة تعرض ، وهى وسائط للعرض . فلتكن هذه الصورة على الدوام أساسا لتفكيرنا كمعلمين ومدرسين ورجال معارف ، لنرى دائما ماذا يطلب الطالب وماذا نعرض عليه في مدارسنا .

الطالب جسم حى صغير يطلب النمو والزيادة في عضله وقاوة قواه وقابليته وفي نفسيته ويتطلب القوة والاقتدار والحدق والمعرفة ويتطلب فوق كل ذلك المناعة الى تحميه من العدوى من الامراض الاجتماعية التي سيتعرض لها في حياته الكبرى . وانه من شروط تأسيس دور التربية أن تتوفر فيها الوسائط التي تقوم بما يتطلبه ذلك النمو وتلك القوى ، وبحث هذه الوسائط يؤلف موضوعا واسعا في علم التربية كتبت في شأنه المؤلفات العديدة . غير أنى اعتقد بانه مهماتضاربت الآراء ، فان المدرسة لا تصلح للتربية اذالم تجمع ميادين اللعب والمكتبات والمختبرات والقوانين المشجعة لتقوية الطالبة في الصغار بحرية تامة والمعلمين ان يشعرون بانهم واسطة و برسم الخدمة لطلابهم لا لسيادتهم

انا لا أرى مدارسنا الحاضرة تصلح بشرط من الشروط المتقدم ذكرها لتربية الأولاد للغاية التي تتطلبها الحياة منهم، وهي بحسب اجتهاد الشخص مدعاة للفشل المحقق في تلك الجهة

يأتينا الطالب وهو قدر وضعيف في جسمه وعقله واخلاقه . فيدخل المدرسة التي عوضا عن ان تسعى قبل كل شيء الى القيام بعملية تنظيفه وتقويته لمقاومة الفساد الاجتماعي المنتشر في خارج المدرسة ، تتركه على ما هو عليه من القذارة والضعف، وتبدأ بالتدريس له وتعليمه على اصول هي بطبيعتها مدعاة للفساد .

يأتى الطالب المدرسة مشبعا بالعقائد الفاسدة والأوهام جبانا غاشما مستسلما مستصغرا نفسه كمنذو باغشاشا . فماذا نعمل به؟ نزيده تمسكا بعقائد لا حاجة له بها في حياته . ندرسه ما يستحيل عليه فهمه وادراكه مما يصبح عقبة في سبيل نموه ونعامله بالغلطسة والكبر، ونطلب منه بعد ذلك أن يكون شجاعا مقداما مفكرا شهما . فهل تكون النتيجة غير زيادة في القذارة والضعف

كثيرا ما فكرت في الجهة التي تسير فيها التربية الحاضرة في البلاد فلم أجد لها في المدارس من أثر يبرر الامل بأعداد الرجال لخدمة الوطن . وانما وجدت ان مدارسنا وبالإلأسف واسطة للمحافظة على الأوضاع الحاضرة أكثر من اصلاحها . وطلابنا عموما يعيشون فيها حياة غير طبيعية ولا هادئة، بل انهم يعيشون حياة هياج وحماسة مبنية على «الفيتليزيم»، والفوضى. واصلاح التربية في البلاد لا يبدأ الا بالقضاء على نزعة الفوضى وقطع دابر «الفيتليزيم» وادخال الفلسفة الايجابية بتأسيس فكرة يؤمن بها كل طالب وينشأ عليها محصلها أن حياته كفرد معني واسعا، وان حياته في المجتمع معنى أوسع .



الأدب القصصى المصرى

(بمناسبة صدور كتاب مختار القصص للأستاذ الكبير كامل كيلانى — طبعته دار)
(العصور ونشرته مكتبة الوفد)

(١)

سنظل نشكو قلة القصص فى الأدب المصرى مع وفرة ما تنشره الصحف ونخرجه المطابع وسنظل نشكو هذه القلة أبداً حتى نخلص منها إلى شكوى التخمّة القصصية يوم تحتاج القصص كل فنون الأدب المصرى وتسد علينا كل منافذه. وفى الحق إن فن القصص المصرى قد أخرج لنا إلى الآن عدداً لا بأس به من الأقاصيص العصرية المؤلفة ولو أن الروح القومية روعيت فيها كلها لأصبح صرح هذا الأدب الجديد فى مصر متين الأساس ولكن الواقع أننا متأثرون — حتى فى أدبنا القومى — بالبيئة الغربية والوسط الغربى والروح الغربية الروائية فى معظم ما يظهر من القصص فى الأدب المصرى. فهى كلها لا تمثل من الحياة المصرية إلا النواحي الوصفية وكفى. أما تصوير البيئة المصرية والروح المصرية أو بمعنى آخر تصوير العاطفة المصرية الصحيحة، فلن نعثّر عليه فيما يتفق لك من قصص مصرية ولن نجد كاتباً مصرياً يعنى بتصوير هذه الناحية — وقلة عنايته هذه لا ترجع إلى عدم اهتمام بها ولكنها ترجع أكثر إلى القصور أو ببساطة أصرح إلى الجهل والعجز. لا أقول إن كاتباً لم يحاول تصوير العاطفة المصرية فى الأدب القصصى المصرى الجديد، ولكننى أقول أن معظمهم إن لم يكونوا كلهم — قد أخفقوا فى ذلك ! وظلم متأثر فى تصويره بالمجتمع والبيئة الغربية أو بمطالعاته فى الأدب القصصى الغربى .

وقد يكون صحيحاً أن الحياة المصرية والمجتمع المصرى بتقاليده الحالية وفى موقفه الشاذ الحاضر، لا يمكن أن يلهم المؤلف محوراً لقصة طريفة ! قد يكون هذا . ولكن العاطفة موجودة فى الحياة المصرية على كل حال وتصويرها على حقيقتها الراهنة

الآن هو الأساس المطلوب للأدب القصصى القومي فى مصر
ولذلك كله سرنى كثيراً أن يظهر « مختار القصص » وأن أعثر فيه على سبع قصص
مصرية تصور الحياة المصرية فى البيئة المصرية بروح مصرية أو بالحرى تصور
العاطفة المصرية سبع قصص يمكن أن تعتبرها نواة صالحة لحياة أدبية قصصية جديدة
وهى كلها تصور أيضاً الحياة القومية المصرية البسيطة بل الساذجة وأقصد تلك التى
لم يعقدها امتزاجها بالحياة الغربية والشرقية الأخرى امتزاجاً مشوشاً تركها خليطاً
مضحكاً من عادات وتقاليد لا اتساق لها ولا رابطة بينها، أقول أعجبنى من الأستاذ كامل
كيلانى أن يعتمد إلى تصوير هذه الحياة المصرية البريئة التى لم تعكرها اللوثة الدخيلة،
وأن يؤثر تصوير البيئة المتوسطة ويفضلها عن الحياة العصرية الراقية المتكلفة التى لم
يستقر لها قرار بعد والتى تتبدل كل يوم فى شكل جديد !

(٢)

و « مختار القصص » كتاب حسن المظهر أنيق الطبع وحسبك أن أذكر أن
« دار العصور » هى التى تولت طبعه وأن « مكتبة الوفد » هى التى عنيت بنشره لتصور
الشكل الذى يصدر به كتاب أدبى اجتمعت له هذه الأسباب . ويواجهك من الكتاب
تصدير للناسر يقدم لك فيه الأستاذ كامل كيلانى بدراساته الجديدة فى الأدب العربى
وعنايته بالأدب القديم والكتاب مصدر أيضاً بقصيدة رائعة للدكتور أبى شادى
فى (الأدب القصصى) ولعلها الأولى من نوعها أن تحلل هذا الأدب الجديد وهى
وإن كانت موجهة للأستاذ كامل كيلانى إلا أنه يمكنك أن تعتبرها مثلاً توجهه
للكتاب القصصى المصرى المنتظر وأنت إن أقبلت عليها فلن يسعك إلا أن تعجب بمطلعها
إن الحياة — إذا اعتبرت — رواية فاستوح من قصص الحياة جمالا
ولن يسعك إلا أن تزداد إعجاباً عند هذا المعنى المبتكر :

فترى التأتق فى حياة سطور ه * وترى الحياة به انفيض جلالا

ولا أظنك تمر على هذا المعنى دون أن تستعيد البيت ليم استمتاعك به :

وترى التصرف بالحوالذ زادا * خلداً وزاد ما آملها آمالا

ثم تفرغ من هذا كله إلى مقدمة للأستاذ العلامة الجليل اسماعيل مظهر بك فى القصة

ونشأتها وتطور فكرتها، ولا أحسبك تطمع أن تروى غلتك في مثل هذا البحث من غير الاستاذ مظهر بك، فانه ينتقل بك من تحليل بارع من صورها الاولى وأثرها في حياة الانسان الأول إلى تطورها الديني وتكييفها لمعتقدات البشر أو تكييف المعتقدات لها، ثم إلى ازدهارها واتساع أخيلتها لما جاء القرن الحادى عشر ولم يتغير الكون مع انهم كانوا يعتقدون نهاية العالم. وهو يبحث معك كل هذا في أسلوبه العلى الاستقرائى الطريف والكتاب مع ذلك مقتطفات من كتب ثلاثة :

الأول — كتاب «مختار قصص السينا»

والثانى — كتاب «قصص بوكاتشو»

والثالث — كتاب «قصص مصرية»

ولن نعرض هنا إلا للنوع الأخير أى القصص المصرية وسندرسها وننقد هاما ملين أن تكون لنا عودة للنوعين الآخرين في فرصة أخرى ذاكرين أن الأدب القصصى الجديد (ونقصد ذلك الذى يصور العاطفة المصرية كما أسلفنا) لم يبرح أطواق الحداثة بعد وإن الاستاذ كامل كيلانى هو أول كاتب قصصى مصرى، أمكنه أن يصور العاطفة المصرية فى بيئة مصرية خالصة ومجتمع مصرى. بحث أما ما قد يكون لدراستنا من ملحوظات نقدية فهى ما لا بد منه فى مستهل مثل هذا الأدب الجديد .

(٣)

وأولى القصص التى سندرسها معا هي «سنية» وأنت تشعر اذ تقرأها انها تسير سيرا حسنا معقولا إلى أن يستحكم الحب بينها وبين «محمد» والاستاذ كامل كيلانى حرص (فى كل قصصه تقريبا) على أن يفجأك باستحكام أو اصر المحبة بين ابطاله رأسا وهو لا يريد أن يرهقك أو يشجى عواطفك بشرح أدوار الغرام التى أدت إلى استحكامه ثم إن أباه الشيخ ابراهيم «الرجل الصالح التقى الورع» نهج نهجا مدهشا فقد غضب وخرج عن طور الرزاة والحلم اللذين اتصف بهما، لما فاتحه ابنه محمد بأمر زواجه من حبيبته سنية ومانع بشدة. ولكن ذلك لم يزد محمدا إلا تعلقا بفاته فخاف عليه من الجنون ووعد بذلك، ولكن يعمد بعد ذلك إلى خطة غريبة حقا. فانه يعلم مبلغ حب محمد للفتاة، الحب الذى خشى أن يسبب له الجنون ان حرمه. وهو مع ذلك يرسله إلى

الريف في مهمة خاصة و يومهم سنية انه هجرها وانه لا يحبها، (فتبعث اليه بخطاب قاس تعاتبه فيه وتقاطعه وتعلنه بزواجها من ابن عمها) ودأبما ابن العم في كل قصة وعند كل كاتب قصصى) يصفق الشاب لهذا النبأ ويسقط مغميا عليه ويعود للقاهرة في نفس اليوم ويعيش مسلوب اللب فيهجر مدرسته ودراساته الأخرى وينصرف إلى « تأملاته الحزينة ويأسه المميت » ويظل هكذا ستة شهور يسمع بعدها عرضاً أن حبيبته فذفت إلى زوجها العنيد منذ يومين فقط ، وتتفرح في نفسه جراحات القلب التي كادت تندمل فلا يحتمل آلامها ويظل يتعمل حتى يخلصه منها ماء البحر !

والقصة بهذه الخاتمة لا تخلو من بعض تصرفات شاذة ، فان الشيخ ابراهيم الذى كبح جماح نفسه أولاً ، ووعد ابنه « محمداً » بزواجه من حبيبته سنية ، لأنه لما حاول الاعتراض رآه « يهذى في نومه وفي يقظته » ، ولأنه « كان وحيد أبويه » ، ولأنه « خشى أن يصيبه مس من الجنون » — الشيخ ابراهيم الذى يقدر كل هذا ويخشى عواقبه في أول الأمر فيعد وحيدة بالزواج من حبيبته ، لما لم يجد من ذلك مخرجاً ، لا يعقل أن ينقلب على ابنه فجأة فيدبر له هذا الأمر الذى يسلبه له ويفقده الوعى ، ثم انه يراه وقد هجر مدرسته وانصرف إلى « تأملاته الحزينة » ويأسه المميت ، ولا يحرك مع ذلك ساكناً ، لا يلوح له بيارقة أمل وهو يعلم أن الفتاة لم تتزوج بعد ، ولو ان له تلك النفس الأولى التى تجزع إذ ترى وحيدة مهدداً بالجنون فتعده بأمنيته: لو ان له تلك النفس لما أمكن أن تطمئن إلى تركه مشرداً تائه الفكر واللب مصعوقاً مع ان الحل بسيط ، فقد مكثت الفتاة ستة أشهر لم تتزوج خلالها كما أوهم ابنه . ثم إن والد الفتاة وإن كان وضع المركز إلا أنه وعلى النفس تزينة الأمانة والاستقامة ويحليه الصدق والاخلاص والزاهة ، يشهد بذلك الشيخ ابراهيم نفسه الذى « رأى من أماته واستقامته ما زاد ثقته به » !

اسم القصة « سنية » ، ولكن محورها كان يدور حول « محمد » وحده ، فقد تتبعه المؤلف وحل شخصيته بأسهاب واستقرأ خواطره وآراءه في شتى الحالات ، وقد شرح لنا فعل الحب به ؛ ولكن لم يشرح فعله « بسنية » ، والفتاة كانت تحمل للفتى مثل حبه ، ولكنها مع ذلك استقوت على الحب ، وعلى مقاطعة الحبيب ، وعلى الزواج من غير الحبيب دون أن تحدثها نفسها بشئ . بينما نفس « محمد » تحدثه بأشياء لم يخلصه منها سوى الانتحار !

ويكاد يبدو الاقدام على الانتحار غريباً، ويكاد يكون من ذلك النوع الذى نعاه على القصص المصرية المنتشرة الآن والمتشعبة بالروح الاجنبية والبيئة الاجنبية، والتي نود أن نخلص منها إلى القومية المصرية البحتة التي يجب أن تصبغ كل مظاهر قصص الأدب المصرى القومى المنشود .

وإذا كان المحب الغنى الحسيب قد انتحر لأنه لم يتزوج من فتاة فقيرة وضعية الحسب تبادل له الحب فقد كان الأولى أن يسبق إليها هي خاطر الانتحار إن لم تسبق هي إليه .

*
* *

— ٤ —

ونفرغ من « سنية » أولى القصص المصرية بأمرين :
أولهما : — أن الأستاذ كيلانى قد وفق إلى أبعد حد فى تصوير العاطفة المصرية فى بيئة قومية : فكان بذلك أول كاتب قصصى استطاع أن يصوغ لنا قصة قومية مصرية بحتة

ثانيهما : — أن الأستاذ كيلانى رغم دقة تصويره ، ورغم توفيقه فى هذا التصوير يتعجل انتهاء قصته قبل مناسبتها فيضطر إلى الالتجاء إلى الروح الغريبة والفكرة القصصية الاجنبية التى لاتصلح أساساً لقصص قومية لبعد الاختلاف بين الحياتين والبيئتين

وسنرى معاً كيف أن الأستاذ كيلانى سار فى توفيقه الأول سيراً حسناً سريعاً ، وكيف انه وإن لم يتخلص تماماً من الأمر الثانى ، حاول أن يلزم الروح المصرية جهده .

والقصة الثانية التى ندرسها الآن هي « التهمة » — وأنت ترى فى مستهلها حسن افندى ضابط الجيش مطمئناً إلى جلسته فى قهوة بيور سعيد ؛ وأنت ترى الشاب الآخر الممتلئ الجسم القوى العضل يقترب منه وعلى وجهه آثار الاضطراب والذعر وأنت تجد حسن افندى يضطره حياؤه أخيراً إلى مجالسة الشاب الغريب الذى بدأه بالتحية

وبدأ الشاب قصته بصوته المتهدج المضطرب، فيروي لحسن أفندى كيف أنه وزوجه نزلا إلى هذا البلد منذ شهرين وانهما قضياهما في صفاء إلى أن تعرفت إلى زوجته عجوز خبيثة أفسدت عليه أمرها، وكيف انتهى أمرهما اليوم إلى شجار كلامي عنيف صممت الزوجة بعده على مغادرته وهددته بالهرب إذا لم يطلقها، وكيف أنه أحكم عليها قفل الباب وانصرف يبحث عن وسيلة تقنعها بالعدول عن فكرتها وليس له في البلد قريب ولا صديق، ثم كيف صار أخيراً حتى وقع نظره على حسن أفندى فشعر «بجاذبية عجيبة» له، ويختم حديثه إليه بقوله:

«وكان هاتفا خفياً يهتف بى أن خلاص كرتى على يدك»!

وينتهى الأمر بهما إلى قبول حسن أفندى القيام مع الشاب الغريب إلى منزله ليصلح بينه وبين زوجته! وأنت ترى أن حسن أفندى ضابط الجيش كان ساذجا إلى حد بعيد — ان لم يكن ابلا — فقد كان يحب أن يقدر — أن محدثه شاب مصرى هو في الوقت نفسه زوج شابة مصرية يختلف معها لأسباب خاصة يظن هو أنها مفسدة لها، فمن غير المعقول أن يوسط في الصلح بينه وبين زوجته الشابة — التي يغار عليها — والتي كانت الغيرة السبب الوحيد في اختلافهما — لا يعقل أن يوسط بينه وبينها شابا مصرى غريبا عنه وعنهما، ولا يمكن أن تطمئن هى إليه اطمئناناً بريئاً! كان على حسن أفندى أن يقدر هذا كله ويدرك أن في الأمر سرّاً آخر، فقد أقدم الشاب الغريب على أمر قد يعد جرأة غريبة من رجل أوروبى في بلد مثل باريس أو غيرها من بلدان الإباحية المتطرفة، فما بالك به في مصر التي لاتزال ترسف في أغلال الحريم والحجاب وما إلى الحريم والحجاب من تقاليد وقيود! ثم انها قد تبدو مذهشة لو صدرت من صديق خبر أحوال صديقه وسبر غوره وبادله الاخلاص الأكيد والثقة المطلقة، فما بالك بها من شاب غريب في بلد كبور سعيد، لاخر غريب عنه وعن البلد ولم يربا بعضهما قبل الآن ولا جمعت بينهما غير ظروف خاصة غريبة...؟

وأغرب من كل هذا أن يذهب حسن أفندى مع الشاب إلى منزله فيدخله غرفة قاصية ويطلب إليه أن ينتظر ريثما يحضر إليه زوجته ليصلح بينهما! ولو أنتى رأيت هذا التصرف في رواية سينمائية أوروبية لإباحية، لما أعجبت من مؤلفها بمثل هذه الفكرة.

الغريبة الجريئة ، فهل ترانى اطمئن اليها من مؤلف مصرى يصور الحياة المصرية
في بيئة مصرية خالصة !

ويتنظر حسن أفندى ما يشاء له صبره الطويل وهو لا يسمع حركة ثم يحس وحشة
في المنزل فيخرج من حجرته بحذر يتفقد المكان الذى ساقه اليه قلبه الطيب بلطيشه
و عدم تبصره ولكنه لا يجد أحداً . . . ووصل إلى غرفة رآها مظلمة ، أضاءها فوجدها
حجرة نوم فخمة ، نعم لقد وجد سريراً من أفخم الأسرة ، فدنا منه ، ورفع اللحاف
قليلاً فرأى وجهها رائع الحسن . بسم ، وظن أن الرجل قد تركه في الشقة ليصل به
إلى هذه النتيجة ، وحسب الفتاة تصنع النوم . لمس كفها فوجدها باردة ، وتحقق من
وجهها فرأى سمات الموت بادية عليه قليلاً . . . رفع الغطاء كله ، فإذ رأى
باللهول — أمعاؤها خارجة — ولا تزال المديّة التي بقرت بطنها في صدرها غارقة في
دماء الفتاة !

نعم لقد وجدها قتيلة وليس في الحجرة معها غيره !
ولا يكاد حسن أفندى يستفيق من دهشته وذهوله إلا وهو بين أيدي رجال التحقيق ،
وينكر حسن أفندى طبعاً جريمة القتل التي ألصقتها به الظروف القاسية ولكنهم
يسخرون منه وينصحونه أن يعترف بالحقيقة ! فقد اتفقت على إدانته أدلة قوية لا يأتيها
النقض من جهة من جهاتها ، ثم هو يستطيع بمشقة أن يثبت لهم براءته بشهادة الكشف
الطبي وبشهادة غلام القهوة التي كان جالسا عليها حين جاءه الزوج لأول مرة ويقبض
على الزوج الجاني فيعترف بجريمته وينال جزاءه .

— ٥ —

ونفرغ من هذه « التهمة » بأمرين أيضا :
اولهما — أن الاستاذ كامل كيلانى استمر موقفاً في تصوير العاطفة المصرية في
بيئة مصرية قومية تصويراً جديراً بكل إعجاب .

ثانيهما — أن الاستاذ كامل أفندى كيلانى لم يتعجل هذه المرة نهاية القصة ، ولكنه
تعجل تكوين « العقدة » القصصية ، ثم استمر هادئاً موقفاً في دقة تصوير

بارعة وجاء ختام القصة نتيجة طبيعية للعقدة القصصية فكان من أسباب

تبرير التعجيل الذى لجأ الاستاذ كيلانى اليه فى تكوينها .

ونترك (التهمة) لندرس معا القصة الثالثة (عزيزة) وهى أروع قصه صورت

العاطفة المصرية تصويرا صادقا مفصلا ، وحللت الحب فى البيئة المصرية المحجة ورقبت

أطواره فى نجاح وتوفيق . فأنت ترى عزيزة فى بداية القصة تتصرف عن اتقان هندامها

وسائر ما يشغل الفتيات من سنها ، ترى تلك الفتاة النحاسية النحيفة التى تكاد مع ذلك

تدانى الرجل فى جرأته وقوة بطشه لا يشغلها إلا أمر توطيد مركزها ومركز أسرته

المتوسطة الحال فى ذلك الحى الفقير الأهل بالعمال والمساكين ، والا أمر آخر يدر على

أما بعض أخلاف الرزق ، ذلك هو قيامها ببعض أعمال تجارية بين القاهرة وبعض

قرى المنوفية ، تحمل إليها الأثواب والانسجة لتبيعها للقرويين ، أو لتبادلهم بها السمن

والغلال وسائر ما يطعم مثلها فى الحصول عليه من المحصولات القروية .

وتصادف عزيزة فى تنقلاتها شابا فلاحا قوى الجسم مفتول الساعدين فيجبها

وتحبه ، وينمو بينهما الحب سريعا فيؤرقها ويقض مضجعها ويشغل عليها كل أوقاتها

فتكثر من التردد على ذلك البلد بمناسبة وبغير مناسبة وتلجأ الى جوارها حوذى مشهور

فى الحى بالحذق واللباقة فتستودعه أسرارها وتتخذة وسيطا فى إرسال وتسلم رسائل الغرام

بينها وبين معشوقها مقابل بضع قروش أو غلبة سجاثر تجود بها عليه بين حين وآخر .

وغير الحب أحوالها فانقلبت من فتاة (شرسة لا تنطرق الرحمة الى قلبها) ولا تعرف

هواة فى إنفاذ انتقامها المروع ، الى فتاة أخرى مستكينة هادئة قد هذب الحب قلبها

وأذلها وكسر شكيמתها وأقض مضجعها وألجأها الى حوذى ما كانت تفكر لحظة فيه

لولا هيأها بعشيقها الذى لا تحلو لها الحياة الا به .

وأنا أريد أن أقف بك هنا لحظة تستعيد فيها ما قرأت وتترك العنان لاجوابك

بهذا القصصى الذى يوفق الى التسلسل الطبيعى الظريف فى ذلك التصوير الرائع للطائفة

المصرية الخالصة فى البيئة المصرية البحتة ، وليس أدل على ذلك من أن نعود بك الى

محور القصة لترى كيف تكاد تلهب نيران الغرام أحشاء عزيزة وكيف تتحلل الاعذار

لتكثر من التردد عليه فى بلده وكيف ينتهى ولع الشاب بها بالنتيجة الطبيعية التى ينتهى

إليها حب مثله إذا نال وطره . استمر معها نحو عامين تلاهما زهده فيها وانصرافه

عنها وان بقيت هي تجن له الحب وترى فيه (المثل الأعلى الذى تصبو اليه نفسها) !
 ويتمادى العشق في فتوره ، وعبثاً تحاول اجتذابه اليها ، فقد ملها وتاقت نفسه الى متعة
 أخرى ، تياس «عزيزة» من حبه فيضنيها هجره ويمضها فراقه ، وتكاتبه فلا تحظ منه
 برد . وتحاول مقابلته فيتهرب منها فتتصرف عن هذا كله إلى ما تنصرف إليه المرأة
 المقهورة المغلوبة على أمرها : تلجأ إلى الدموع في مذلة ومسكنة ، وتصبح وديعة
 حزينة ، وتسرى عدوى حزنها إلى أمها فتكفان عن أذى الناس ، ولا يمر زمن طويل
 حتى تنكب هذه الأسرة في أمها الوحيد في الحياة إذ يقع الابن الفرد تحت عجلات
 القطار فتقطع ساقه اليمنى وتصاب اليسرى بضرر جسيم .

تولول «عزيزة» وتلطم أمها الخدود وتشق الجيوب وينخلع قلب الزوج وتقضى
 العائلة بقية أيامها في أسى صامت تثيره تلك الساق التى وضع الاطباء بدلها ساقا صناعية .
 وتنشب الثورة المصرية في سنة ١٩١٩ وتكثر الاضطرابات وتسمع «عزيزة»
 وهى تتناول عشاءها - صوت طلق نارى تعقبه صيحة يخيل إليها انها صادرة من
 شقيقها فتترك عشاءها وتهرب في الظلام حتى تصل إلى ذلك الشخص الصريع ولا
 تكاد تميزه حتى ينال عليها وابل الرصاص فتخر صريعة لا تنبس بلفظة !

— ٦ —

ونخرج من «عزيزة» أشد اعتقاداً في توفيق المؤلف في تصوير العاطفة المصرية
 في البيئة المصرية وأكثر إعجاباً بدقته في التصوير وبراعته في ترتيب القصة المنطقى .
 وترى انه لم يتعجل هذه المرة «العقدة» القصصية ولكنه كان يساير المنطق القصصى
 في هدوء ولم يتعجل الخاتمة كذلك وإن دس ثورة سنة ١٩١٩ لينتهى بها من «عزيزة»
 ويفرع معها من القصة ! ولكنه مع ذلك تخلص معقول ؛ بل تخلص بارع بالنسبة لما
 يلجأ إليه غيره من القصصيين المصريين .

ونفرغ من «عزيزة» لنعالج دراسة «التهيكة» ولعلها أحسن وأمتع ما يحويه
 مختار القصص ، من القصص المصرية ولوانها تميل إلى ذلك النوع الوصفى الذى انصرف
 إليه كل كتابنا القصصيين ، ولكنها مع ذلك ممتعة بارعة التصوير ، فأنت ترى الحاج

على في بدايتها بدأب على تكوين وتنمية ثروته المحصورة من طريق التجارة ، وأنت تراه أيضا بعد مضي خمسة عشر عاماً يستطيع أن يبني له بيتاً قريباً من محل تجارته وينشئ في أسفله دكاناً خيراً من الدكان الذي كان مستأجره في الزمن الأول .

ويظل الحاج على يعيش مع زوجته خديجة الريفية في دور أرضى حقير يرزقان فيه بانه وثلاثة أبناء ذكور ، فلما تحسنت حالتهم المادية انتقلوا جميعهم إلى المنزل الجديد . وتدأب الأسرة كلها على تحصيل الثروة : الولدان الكبيران يساعدان أباهما بالعمل أجيرين ، والاب ينصرف إلى توسيع تجارته والتحجب إلى عملائه فيقبل عليه الناس . بيد أن الابن الثالث كسول يميل إلى البطالة ولا تنفع معه شدة أبيه وصرامته والجهود العظيمة التي يبذلها في إصلاحه ، ولكنه وضع لفساده حداً معقولا .

ولكن خديجة الزوجة الريفية التي قاست مع الحاج على شظف العيش تطلعت إلى البطر ورأت من حرص زوجها عقبة لم تذللها إلا بالسرقة منه ، فانفقت مع جارة لها فقيرة على نهب زوجها وتغفله ، تسرق لها ما تصل إليه يدها من مخازن زوجها وتبيعه لها الجارة وتشتري لها به ملابس وجوارب ومناديل وذلك أقصى ما تطمع فيه ! وكانت خديجة لا تخرج في تكليف ابنتها « سميرة » بالقيام بهذه المهمة تضع لها الجبن أو الصابون في اناء قذر وتخرج به أمام والدها على انها تحوى أقذاراً تريد إلقاءها في الخارج ويموت الحاج على تاركاً لأسرته ثروة لا بأس بها ، بل هي كبيرة بالنسبة اليهم إذا أضفت إليها المنزل الذي بناه حديثاً . ولكن الاعمال لا تلبث أن تختل إذ يندفع أصغر الأولاد إلى تيار الملاذ الجارف بعد أن زال الكابوس الذي كان مصدر مضايقته المستمرة . يغلق محل التجارة بعد مدة ويبيع أكثر البيت ويفلس القائمون باعمال التجارة بعد وفاة عميد الأسرة !

ويعود الولدان الكبيران إلى مزاوله عملهما الأول وهو على حقارته ومشقته لا يكاد يسد الرق ، ويتأدى الأصغر في ملاميه حتى اذا غضب معين نقوده عمد إلى السرقة فيصادفه النجاح أول أمره ، ولكنه لا يلبث أن يضبط ويزج به في السجن .

وما تزال المرأة والفتاة تعانيان شظف العيش وتقاسيان مرارة البؤس « منحدرتين من سىء إلى اسوأ حتى بلغتا أقصى حدود الشقاء . وتسف الام بابنتها وتقذف بها في الهاوية السحيقة فتتردى فيها الفتاة وقد فقدت أثمن ما تملكه الفتاة الشريفة ! وتدور

الايام وتزوج الفتاة من شاب فقير سليم الطوية كثير التفاضل يميل الى الدعة ويرى في حسنها ما يفسيه كل اعتبار آخر .

وتمر السنون متتابعة . وتنتقل « سميرة » مع زوجها الهادى المستكين الى سكن ارضى ضيق مظلم يستأجرانه من شيخ محسن بأجر ضئيل يتنازل عنه بعد أن يتبين له فقرهما المدقع - هذا والسيدة خديجة لا تفتأ تتردد على منزل ابنتها مزينة لها الانسياق في تيار الرذيلة تغريها حتى لسرقة الحيوانات الضالة في الطريق ، وكم وقعت لها بطة سمينة أو أوزة تشبع نهمها حيناً ، وكان الزوج يودع زوجته كل ما يربحه وهي تدبر له أمر معاشه ، وكم كان معجبا بها وتبديرها الحسن عند ما يجلس الى طعامه فتقدم له البطة أو الأوزة يستمتع بها وهو لا يكلف نفسه مشقة التحرى عن مصدرها :

وزارت الام قناتها ذات يوم ، فرأت عند بابها ما أفعم قلبها سرورا وبهجة ، عنزة سمينة تأتي الى باب منزلها بدميها ، يا للغنيمة !

كانت العنزة ملكا لصاحب مقهى مجاور للمنزل . وكان يقضى نهاره في مراقبتها أو تكليف أحد غلبانه بذلك . وكان واقفا يلحظها وهي تتلصق أمام منزل « سميرة » . وحدث أنه غاب عنها داخل القهوة لحظة قصيرة لأمرا ما . لحظة قصيرة جداً . ولكنه لما خرج لم يجد عنزته المحبوبة . ووجد باب المنزل مغلقا . طار عقل الرجل . وهرب كالمنجذوب حتى وقف امام المنزل ونظر اليه في تردد . ومرة اذ ذاك احدى نساء الحى وكانت ماكرة لثيمة ، ويظهر أنها كانت ترقب افعال المراتين وتضمر الشر لهما واتتهزت هذه الفرصة فدنت من صاحب المقهى وهمست في أذنه . وحدث أن مرت أخت الرجل . ويظهر انها كانت كاتخيا معروفة في « الحارة » بالحوول والجبروت . فانها ما كادت تعلم بقصة أخيها حتى هاجت وماجت وصارت تهجم على الباب تقرعه بعنف ولكن ما من مجيب . ويسمع الجيران بالامر ويتزاحمون على بيت « سميرة » . ويتقدم جارها ليقف فيها ويتعهد للحاضرين باثبات براءتها بعد ان يؤكد لهم بعدها عن كل شين . ويدق الباب وينادي على الفتاة بصوته فيسمع جوابا خافتا فأتراً كاتما هو صادر من شخص يستيقظ من النوم . يسمع صوت يمهله قليلا حتى ترتدى صاحبه ثيابها ويفتح الباب بعد برهة ويندفع اليه الناس يفتشونه وتسل السيدة « خديجة » ، والدة الفتاة بين الجموع المحتشدة بالباب ، ولا يترك صاحب العنزة جزءا من البيت إلا يبحث فيه بدقه ولكنه لا يعثر على شئ .

فيخرج أسفا على سوء ظنه بالناس ويعلو البشر أسارى «سميرة»، وتندفع تندد لصاحب المقهى وباخته وتسبها على سوء ظنهما بها وهي الفتاة الطاهرة الشريفة. وتسمع أخت صاحب المقهى هذا فتستشيط غضبا وتهجم على البيت لأنها تحقق هاجسا خفيا في نفسها وتذهب الى مكان خاص فيه زير وتنظر في ذلك الزير فلا تجد شيئا وينأى هم بالعودة كاسفة البال اذ بالزير يهوى الى الارض فتسيل الماء ويسقط معه جسم العنزة وقد شطرين!

يهل الناس ويصفق الاولاد ويشدد الزحام وتساق الفتاة بين سخرية الجموع الى مركز الشرطة وقد حملت الماعز التي ذبحتها في اية من اوانها ويرق لها قلب خصمها صاحب المقهى لما تقرب من مركز الشرطة فيعفو عنها بعد أن يتعهد له أحد المحسنين بدفع نصف ثمن العنزة وان عجزت هي عن سداده .

وتتوب «سميرة» عن السرقة بعد هذه «الهيئة» وتنصرف الى الصلاة والنسك!

-٧-

وأنت ترى اننى لم أكن مبالغا حين ذكرت لك أن «الهيئة» من أقوى وأبرع القصص التي تناولت الحياة المصرية وإن انصرفت كل العناية الى الناحية الوصفية ، وإن أريد أن أترك لك أمر دراستها في مختار القصص ، فلم أذكر لك إلا ملخصاً أبتر ، ولست أؤكد لك أن تلخيص هذا لم يشوه القصة ولم يمسحها ، لأنها كما ذكرت لك من النوع الوصفى أو «صورة» ، يجب أن تلم بكل أركانها وتتمعن فيها قبل أن تجازف برأيك - ولأجل هذا لا أود أن استلخص معك شيئاً من هذه القصة ، بل أتركها لدراسك الشخصية وإن كنت واثقا أن النتيجة في الحالين لا يتنا لها تغيير كبير . وهناك من القصص المصرية - غير «الهيئة» - ثلاث قصص أخرى لم نعرض لها هنا وكننا نظن أن في المجال متسعاً لبحثها ودراستها ، وهي «المصادفات» و «المرتدية» و «المفاجأة» ولن أشير عليك بأكثر من الرجوع اليها وقرائمتها لتؤ من معي بأن الأستاذ كامل أفندى كيلانى كان موقفاً فيها كلها إلى حد كبير ، فقد استطاع أن يصور لك كما قلت الحياة المصرية الصحيحة في البيئة المصرية البحتة أو بمعنى آخر كان أول قصصى مصرى صور العاطفة المصرية فى أدب قومى جديد

تعمدت أن لا أتناول في هذا البحث إلا نوعاً واحداً من القصص التي حوّاها « مختار القصص » ومع ذلك لم يتسع المقام لدراسة هذا النوع الواحد وإن كنت قد ألممت بالفكرة إلاماً . وأنا أعتذر للقارىء عن هذا التقصير الذى لا بد لى فيه وإن فاتنى أن أدرس معه قصص بوكاتشو التي تعد الضوء العالمى الذى قبس منه كل كتاب الغرب . إن فاتنى هذه الدراسة الطريفة فلن يفوتنى أن أوجه نظره إلى « إوز فلورنسا » والهرم وتقويمه السنوى وقسوة زوج غيور وتغفل مزدوج وغيرها . والاستاذ كامل كيلانى — كما يقرر ناشر الكتاب وكما نعرف — أديب كبير معروف بدراسته الجديدة للأدب العربى فضلاً عن صيته الذائع كأعظم حجة بيننا فى أدب المتنبي والمعرى وابن الرومى وقد شهدت على آثار مجهوده العظيم فيما در سناه له معاً من قصص مصرية ولعلك لا تتردد فى تصديقى إذا قلت لك إن الأستاذ كيلانى سكرتير رابطة الأدب الجديد بالقاهرة لا يجد الغرور اليه سيلاً فما زال بعد ما ظهر من إنتاجه ومجهوده مقدمات لما سيظهر ولا زال يسعى وراء النقد الحر . بينا غيره يجرى وراء المادحين المتملقين وأذكر هنا أن الأستاذ كيلانى لما بلغه أننى أكتب عن (مختار القصص) كتب الى ما أثبتته هنا حرفياً :

ولعلك تعرف ياسيدى الأخ أننى أرحب — أو على الحقيقة من أرحب — الناس صدرأ لسماع عبارات النقد لا تنفع بها فى القصص التالية — هل قرأت ؟ وهل شعرت بالفرق بين زعماء الأدب الجديد المتواضعين الداعين الى الأخاء والسلام الأدبى وبين المتألهين المتعجرفين الداعين الى التنابد والفرديّة الأدبية الممقونة ؟

ولقد اجتهدت أن أتسقط مواطن النقد فى « مختار القصص » ولكننى أعترف أننى لم أوفق وأن أضعف ما فى هذا البحث هى « أخذ النقد فقد يكفى للرد عليها أن الأستاذ كامل كيلانى أقدم على أدب مصرى قومى جديد ولم يسبقه قصصى آخر الى تصوير العاطفة المصرية فى مثل هذا التوفيق ؟

الاسكندرية فى ٥ سبتمبر سنة ٩٢٩

على محمد البهراوى

حول انشقاق القمر

كثير البحث حول مسألة انشقاق القمر وهل كان انشقاقه في الماضي أم أنه سوف يحدث في المستقبل عند حلول الساعة الممهودة . لهذا رأيت أن أدلي برأيي وأقول كلمتي في هذا الموضوع الخطير .

لا يخفى أن نظام الاجتماع وارتقاء النوع البشرى يتوقف على أمرين بل يقوم على عمادين الأول عماد العلم والثاني عماد الدين . بل المعروف أن هذين العمادين هما الأساس لكل رقى اجتماعي ممكن أن يكون للانسان فيه نصيب في هذه الحياة كذلك لا يغيب عنا أن أكثر الذين ينكرون الاديان اليوم انما ينكرونها لمعادنها العلم ومخالفتها لمقرراته الأولية . على أن قصور الفهم وعدم التعمق في الفكر هو السبب الاوحد في أن يظهر الدين لدى هؤلاء بمظهر المعاند للعلم المخالف لطبيعته . على أني لم أقع حتى لليوم على بحث طريف استطاع باحثه أن يوفق بين روح الدين وبين مستكشفات العلوم كما ينبغي . وكان هذا على الأرجح هو السبب في قيام تلك المناقشات الطويلة حول انشقاق القمر وهل كان في الماضي أم أن انشقاقه سوف يحدث في المستقبل ، مع أن محور البحث يجب أن يدور أدياً حول الحقيقة الأولية ، وهل يخالف انشقاق القمر مادياً وواقعاً العلم أم يجاريه ؟ هذا لان بحث هذه الحقيقة في الواقع تمهيد ضروري لمثل هذا البحث .

ولا رية مطلقاً في أن مسألة انشقاق القمر مرتبطة بمسائل أخرى، مثل انشقاق السماوات وانتثار الكواكب وسقوط النجوم ، وتكوير الشمس الواردة في القرآن الكريم بصيغة الماضي ، وفي الانجيل الجليل بصيغة المستقبل . فقد قال المسيح له المجد جواباً على سؤال عن رفاق مجيئه الثاني - « ومن وقت ضيق تلك الايام تظلم الشمس

والقمر لا يعطى ضوءه والكواكب تتساقط ، - الخ - الى غير ذلك من الآيات التي ينافي العلم والعقل ظاهرها . وبسبب ذلك ينكر كثير من الفلاسفة والطبيعيين الاديان فانهم يرون قصور آعن ادراك المعاني المستخفية وراء هذه الظواهر ، أن السماء فضاء غير متناه . وان في الكواكب ما هو أكبر من الكرة الأرضية ، بحيث لو سقط أحدها أو خرج عن مداره اختل نظام الكون الطبيعي . إذن فانشقاق القمر لم يحصل لانه لو انشق لآرآه الناس في جميع الاقاليم ولا تثبتوه في توار يخهم ولا آمن الناس كلهم بهذه الواقعة ، بل لا آمنوا كلهم برسالة محمد عليه الصلاة والسلام ولم يحتج الى الجهاد الطويل في سبيل اعلاء كلمة الله .

واذا فرض وسلنا بأن القمر انشق حقيقة فان هذا لا يكون معجزة له عليه السلام لان هذه الظاهرة ليست من جنس الدعوى ولا من صفة الفعل . فاذا ادعى طبيب أو عالم بفنون الصحة وآتى كل منهما دليل على ذلك طيرانه في السماء وطار بالفعل ، فان عمله هذا لا يدل على أنه طبيب أو عالم بفنون الصحة ، على الرغم من أن الطيران الى السماء فعل موجب للعجب . ذلك لان هذا العمل ليس من جنس الدعوى ولا من صفة الفعل ، ولا رابطة بينه وبين موضوع الطب . ذلك لان الطب موضوعه حفظ الصحة ومقاومة الامراض . الى هذا أشار القرآن الكريم بقوله جل وعلا - وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه ، قل انما الآيات عند الله ، وانما أنا نذير مبين . أو لم يكفهم انا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم . ان في ذلك لرحمة وذكرى لقوم يؤمنون . ويشبر القرآن في آيات كثيرة الى أن الانبياء لم يستدلوا على صدق دعواهم بالمعجزات المفتوحة بل استدلوا بالكتاب - قل فأتوا بكتاب من عند الله هو اهدى منهما أتبعه ان كنتم صادقين . - ، الكتاب هدى للمتقين . يريد الله أن يحق الحق بكلماته . ، وأن المسيح له المجد لم يجب القوم بالآيات المقترحة من قبيل انطاق الحجر وبراء العيون وأحياء الموتى وقلب الحصى حية وغير ذلك ، بل أنكرها على القوم حيث قال ان الجيل الفاسق الشرير يطلب الآيات الخ . وقد يقال بان

الرسول عليه الصلاة والسلام لو استدل على صدق رسالته بانشقاق القمر لرجع اليه الناس قائلين ان انشقاق القمر لا يكون لك دليلاً على صحة دعواك لانه ليس من جنس الدعوى . وعلى هذا لا يكون أمام المعلن لهذه المعاني الا أمران . فاما الاذعان . وأما البرهان . أما الاذعان فهو أننا . . . نؤمن بالكتب المقدسة وأسرارها سواء أفهمنا ظاهرها وباطنها وتأويلها ومتشابهها أم لم نفهم من ذلك شيء ، وأم البرهان القاطع على دحض أقوال الطيبين والمنكرين للآديان فعدم فهمهم أسرارها بالاسباب المذكورة فنقول انما يرد الأشكال لو كانت معاني الآيات محصورة في المعنى الظاهري في حين أن الامر ليس كذلك فان للكتب السماوية معاني وأسرار واستعارات ومشابهات وتأويلات لا يعلمها الا الله والراسخون في العلم كما قال جل شأنه . « لا يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم » . . . ولما يأتيهم تأويله ، ويوم يأتي تأويله ، . . . ثم إن علينا بيانه . . . فلا تنحصر معاني الكتب الالهية في المعنى الظاهري ، بل لها تأويلات شتى . فكما أنه لانفاذ كلمات الله وأسرار آياته كذلك للشمس والقمر والنجوم والكواكب معاني سامية واسرار عالية واطلاقات شتى لما ذكر في كثير من المواضع . ففي مقام تطلق الشمس والقمر على الانبياء لانهم شمس أنواره وأقمار صفاته . لولاهم لما استضاء أحد بأنوار العرفان . وفي مقام تطلقان على أولياء الله لانهم شمس الولاية وأقمار الهداية بين البرية . وكذلك النجوم والكواكب أطلقت على المعاني المذكورة كثيراً كما لا يخفى على من تتبع اللغة العربية وقصائد الشعراء . وأطلاقها على هذه المعاني المذكورة في قصائد الشعر مشهور معروف . مثل قول الفرزدق من مدح النبي عليه الصلاة والسلام

لنا قمر السماء وكل نجم

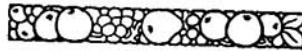
تشير اليه أيدي المهتدين

فانه شبه الدين بالسماء والنبي عليه السلام بالقمر وأتباعه الكرام بالنجوم . وعلى

هذا يكون انشقاق القمر معنى خفيا غير ظاهري . وأقربه عندي أنه بظهوره اضمحلت
المعارف الانسانية القديمة وانشق له قبر المعارف الجديدة التي بشر بها لاهل وقته
فاخرجهم بها من ظلمات الجهل الى نور العلم والعرفان .

فرج الله زكي الكردي

القاهرة



اطلبو من دار العصور للطبع والنشر بشارع الخليج المصري

كتاب

الضحية

روايات وأبحاث أخرى

تأليف

طاغور الشاعر الالهى المعروف

بقلم

اسماعيل مظهر

فهرست

- ٤٨١ — حاجتنا الى الاصلاح الاجتماعى ومشروع تأسيس حزب
 الفلاح المصرى اسماعيل مظهر
 ٥٠٥ — ملك يقرأ - قطعة شعرية محمد عشرى الصديق
 ٥٠٦ — على السفود
 ٥٢١ — الباية والبهائية عبد الجليل بك سعد
 ٥٢٦ — شيطان بنتوور شوقى بك
 ٥٣٧ — شعر التصوير أبو شادى
 ٥٣٩ — الدين وعلم النفس الحديث - الحياه طاهر خميرى
 ٥٤٣ — الحب - قطعة شعرية جميل صدقى الزهاوى
 ٥٤٤ — السرعة - ٥٧٢ كيلو متراً فى الساعة
 ٥٤٥ — جان دى لا بريير - كتابة الاخلاق نصيف جورجى نيقولاوس
 ٥٥٤ — حبي - قطعة شعرية الصيرفى
 ٥٥٦ — الترية فى النظريات الحديثة عبد الله بك الحاج
 ٧٦٥ — الادب القصصى المصرى على محمد البجراوى
 ٥٨٠ — حول انشقاق القمر فرج الله زكى الكردي

